دردشات سياسية

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

١٤٣

الوعـــــي

العدد (١٤٣) – السنة الثالثة عشرة – ذو الحجة ١٤١٩هـ – نيسان ١٩٩٩م

وقفة مع الرأسمالية و العلمانية

الوضع في تركيا والمنطقة

واجبات المرحلة

الصراع على منطقة بحر قزوين

المصالح الحقيقية للأمة

«لا تنس» (قصيدة)

AL-WAIE

الوعي

جامعية – فكرية – ثقافية

السنة الثالثة عشرة – ١٤٣

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ص.ب ١٣٥٠٩٩
شوران – بيروت
لبنان

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٢ مارك
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	٢٠ شلن
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٣٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (١٤٣)

ص

- كلمة الوعي: واجبات المرحلة ٣
- وقفة مع الرأسمالية والعلمانية: ٦
- المصالح الحقيقية للأمة ٩
- دردشات سياسية ١٢
- مع القرآن الكريم: فريضة الحج ١٦
- أخبار المسلمين في العالم ١٨
- في رحاب السيرة النبوية الشريفة:
  غزوة أحد ٢١
- الوضع السياسي في تركيا والمنطقة ٢٤
- الصراع على منطقة بحر قزوين ٢٩
- «لا تنس» (قصيدة) ٣٤
- كلمة أخيرة: احتجاجات في المناسبات ٣٥

إلى السادة الكتاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
10749 Berlin
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
AL -WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9UW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

Canada : كندا
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www. al-waie.org

اليمن
Mr. M. Amer
P.O Box: 11610
Sanaa - Yemen

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

U.S.A أميركا
AL - WAIE
P.O.Box 370782
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

واجبات المرحلة

الدولة المبدئية تقوم على فكرة. وتوجد الدولة بوجود الفكرة في الأمة أو الشعب أو الفئة الأقوى في المجتمع، وكلما كان الولاء للفكرة عظيماً، وتجسدُ الفكرة في الناس وواقع الحياة قوياً، كانت الدولة قوية، وحين يضعف الولاء للفكرة، أو يقل الالتزام بمقتضاها تضعف الدولة، وحين تحِل فكرة أخرى محلها في قناعات الناس، تنهدم الدولة أو يتحول السلطان. وقد رأينا كيف انهارت الاشتراكية في العالم، حين اقتنع السياسيون والحكام وجمهرة الناس أنها غير صالحة للحياة، أو لمواجهة التحديات. ودولة الخلافة، ظلت الدولة الأولى في العالم أكثر من اثني عشر قرناً، على تفاوت في القوة والضعف، والاتساع والانكماش، بحسب قوة بناء الدولة على الفكرة الإسلامية الواضحة الصافية النقية، أو ضعف هذا البناء، أو اضطراب فهم الفكرة، وذهاب صفائها ونقائها. فحين وجد في الحواضر الإسلامية سياسيون ومفكرون وحكام، لا يعتقدون بصلاح الفكر الإسلامي أو بقدرته على بناء دولة عصرية قوية، تجابه تحديات الدولة الفتية القوية في الغرب، تحوّل السلطان في دولة الخلافة، وألغيت الخلافة، وتمزقت الدولة إلى دويلات، وقد سهّل هذا التحول التضليل الذي مارسه الكثير من المنافقين ووعاظ السلاطين، حين أفتوا بإمكان التعايش بين بعض أحكام الإسلام وأحكام الكفر، وعايشوا ذلك عملياً منذ أواسط القرن التاسع عشر حين أدخلت قوانين كفر في الحياة الإسلامية، فأصبحت إسلامية بزعمهم بعد أن صادق عليها شيخ الإسلام.

سبق أن قلنا في مقالة سابقة، إن الدولة الإسلامية قد وجدت، ولم يبق إلا إعلانها، وذلك باستقراء الواقع، ففكرة الخلافة قد وجدت في الأمة، وهناك من يعمل لإيجاد نظام الخلافة ونصب خليفة يبايعه المسلمون على السمع والطاعة وتنفيذ أحكام الإسلام، والأمة تحس بوحدتها من أقصاها إلى أقصاها، ومشاعرها واحدة، وتتجاوب مع الطرح الإسلامي، كما شاهدنا عام ١٩٧٩ حين تجاوب المسلمون بكل شعوبهم وفي كل دولهم وعلى اختلاف مذاهبهم مع ثورة إيران التي عدّوها إسلامية؛ كما أن التحرق للانعتاق من تسلط الكفار وإذلالهم ملموس لكل إنسان، حتى للكفار أنفسهم، والتشوق للعيش في ظلال أحكام الإسلام صار في العلن، والثقة في الحكام الحاليين مفقودة تماماً، والأمل في اعتدالهم أو إصلاحهم معدوم، والأمل بالإسلام وحملته يزداد تبلوراً وقوة. فما الذي يؤخّر إعلان الخلافة، وعودة نظام الخلافة إلى الوجود؟!

إن عناصر عملية التغيير وإعادة بناء دولة الخلافة ثلاثة هي: الفكرة الإسلامية، والكتلة التي تتجسد فيها الفكرة وتعمل لإيجادها في الحياة العملية، والأمة الإسلامية التي يعمل فيها ومعها من أجل إيجاد الدولة. بالنسبة للفكرة الإسلامية، فقد جرى بلورتها، وتحديدها بشكل رائع، والمفاصلة بين الإسلام والكفر أصبحت محدّدة المعالم، ففترة التوليف والتوفيق بين أحكام الإسلام وأفكاره، وقوانين الكفر وطروحاته قد انتهت، فأصبح الطرح الآن: إما الإسلام الكامل المتفرد بالولاء، وهو الأعلى والأقوى، وإما الكفر والانحراف عن الإسلام، وهو الأوهى والأوهن. وأصبحت الصورة عن الإسلام واضحة وتكاد تتطابق مع حقيقته، فالإسلام نظام كامل للحياة، وطراز متميز للعيش، وحضارة متميزة، ولم يعد مقصوراً في أذهان المسلمين على العبادات والأخلاق، وإن

الإسلام يملك حلولاً لمشاكل الحياة، وإن في إمكان الإسلام بناء دولة، وتغيير مجتمع، ورسم حضارة، وبذلك فلا نحس في هذا العنصر أية علاقة بهذا التأخير الحاصل.

أما الكتلة، فإن بناءها سليم، والتزامها بأحكام الإسلام محسوس، والاستعداد للتضحية والبذل مقبول وإن كان المطلوب المزيد من التضحية وإرخاص كل شيء في سبيل هذه الغايو السامية، فما نقصده عظيم، وأجر الذين يخلصون العمل لتحقيقه جزل، وإثم القعود عنه أو التقصير فيه كبير. أما بالنسبة لتحديد صورة المجتمع الإسلامي المنشود فهي واضحة بإجمال، وفي بعض الأمور بتفصيل، والطريقة لنقل الناس إلى المجتمع الجديد واضحة، وثقة شباب الكتلة بقدرتها على بناء الدولة وتسييرها وتنفيذ أحكام الإسلام موجودة، ولكنها بحاجة إلى تعميق، لأن شباب الكتلة هم الذين عليهم إشاعة الثقة بأفكار الإسلام وأحكامه، وقدرته على بناء دولة عصرية قوية تواجه التحديات بصلابة المؤمنين، ووعي المخلصين المفكرين، فإن لم توجد في الكتلة الثقة بشكل مركز في قدرة الإسلام، والمسلمين وحملة دعوة الإسلام، على هذه المهمة العظيمة، فإن الكتلة لا تستطيع إيجادها في الناس بشكل يجعلهم يستجيبون وينقادون، ويبذلون كل ما يملكون في هذا الطريق المأجور. ولهذا لا بد من إيلاء المزيد من الاهتمام، لتعميق الثقة بقدرات المسلمين وحملة دعوة الإسلام على حسن تدبير الأمور وتصريفها، ومعالجة القضايا المستقبلية، ومواجهة أعداء الأمة، والتحرك بوعي وحذر واقتدار في حقول الألغام المحيطة بأمة الإسلام وبلاد المسلمين.

كما أن من الشرائط الهامة للكتلة التي تتصدى لهذه المهمة، أن تكون كتلة سياسية، ليس على وجه الإجمال، وإنما أن يكون كل أعضائها أو جلّهم سياسيين، فمهمتهم الآن، قبل قيام الدولة، سياسية، ومهمتهم التي تنتظرهم بعد قيام الدولة سياسية، ولهذا يجب أن يتقنوا فن السياسة، وأن يجعلوا من أنفسهم سياسيين، وفي الثقافة التي يتبنونها ما يكفي لجعلهم سياسيين، ويبقى العبء الأكبر عليهم لتحقيق ذلك. فيجب أن يتصرفوا منذ الآن كسياسيين وليس كحملة دعوة فقط، وهو ما يتقنونه إلى حد كبير، فليضع كل واحد نفسه في المشكلة، وكأنها مشكلته هو، وأن عليه وحده حلّها، وليفكر في حلها وكيفية معالجتها، وبذلك تتكون لديه عقلية حل المشاكل، ثم ليحاول أن يقنع بهذا الحل من يملك تنفيذه. فالناس والسياسيون والمفكرون لا تقنعهم الحلول العامة، ولا تؤثر فيهم الطروحات الفضفاضة، وإنما تستهويهم الحلول التفصيلية المحدّدة. فلا يكفي أن نرجع كل مشاكلنا ومآسينا إلى غياب دولة الخلافة، وذلك حق لا شك فيه، ولا أن نضع اللوم على الكفار وأعوانهم، وذلك فيه الكثير من الصواب، ولكن يجب أن نشرح بشكل تفصيلي كيف يكون الحل على ضوء أحكام الإسلام وأفكاره، وبذلك أيضاً نسقط الاتهام الذي يوجه للطرح الإسلامي بأنه غائم وينقصه التحديد، وأن حملة الدعوة الإسلامية غير قادرين على تصريف الأمور ومعالجة المشاكل، والتصدي للتحديات. وباختصار، يجب على الكتلة أن تستكمل ما ينقصها، وأن تتهيأ لمرحلة قادمة كثيرة المخاطر، وأي خطأ في التصرف قد يكون مردوده مدمراً ليس فقط على الكتلة وإنما على الأمة وأملها، وأن تباشر القيام ببعض أعمال المرحلة القادمة، وهي كلها أعمال سياسية، وبذلك يوجد السياسيون ويبنى الوسط السياسي الذي عليه أن يحل محل الوسط السياسي الحالي، وينهيه إلى الأبد.

أما بالنسبة للأمة، فهي تحتضن الأسلام وحملة الإسلام، وتتمسك بدينها ولا ترضى عنه بديلاً، وهي أمة معطاءة، سخية في البذل، سهلة الانقياد لمن تثق فيه نحو الغاية التي تعتقدها وتقتنع أنه يحققها لها. ولكن الأمة الإسلامية لم تشارك في نصب حاكمها منذ الإمام علي كرم الله وجهه، فالحاكم ينصب عليها من فوق بالوراثة كما حصل مؤخراً في الأردن والبحرين، أو عن طريق أعدائها، الذين نصّبوا عليها حكاماً في انقلابات عسكرية خططوها وموّلوها ودعّموها، ولهذا فإن لسان حال الأمة اليوم، إننا لا نملك إلا قلوبنا نحبكم بها، وندعو لكم بها بالتوفيق. أي إن الأمة لا تدرك أنها صاحبة السلطان، وأنها هي تنصب الحاكم، وهي قادرة على عزله، ولهذا لا بد من توضيح هذه الصورة للأمة، وتعميق ثقتها بنفسها وبقدرتها على عزل الحاكم وتنصيب آخر. هناك مشكلة أخرى في الأمة، وهي أنها برغم ثقتها بحملة الدعوة الإسلامية، فهي لا تثق كثيراً بقدرتهم على بناء دولة الخلافة، فحملة الدعوة طيبون وملتزمون وتأتمنهم الأمة على أرواحها وأموالها وأعراضها، لكنها لا ترى فيهم القدرة على إدارة الدولة، وتحقيق الأهداف التي يطرحونها، وهي حق، من توحيد بلاد المسلمين، وتحرير أرضهم، ورعاية شؤونهم. والأمة معذورة في ذلك، لأن شباب الكتلة، لم يبعثوا فيها الثقة بقدراتهم، وإن كانوا أوجدوا لديها الثقة بأشخاصهم وإخلاصهم والتزامهم بالإسلام. كما أن جزءاً من ضعف الثقة هذه مردّه إلى عدم التفريق بين عمل الدولة وعمل الكتلة. فالكتلة تقوم بأعمالها فقط بشبابها الذين هم جزء منها، وتحاول تسخير الآخرين للقيام معها بأعمالها، أما الدولة فهي دولة كل الناس، وتسخّر كل الناس، وتستخدم كل القادرين، وتستعين بمن تراه أهلاً لما يوكل إليه، وتحاسب المقصر والمخالف. فدولة الخلافة ليست دولة فئة أو كتلة أو مذهب أو قوم، وإنما هي دولة المسلمين جميعاً في العالم، وهي تأمل في توظيف طاقاتهم وإمكاناتهم في خدمة الإسلام وإسعاد المسلمين.

ثمة أمر آخر يتعلق بالأمة، وهو عدم ثقتها في إمكان دولة الخلافة، إن قُدِّر لها أن تقوم، أن تعمّر طويلاً، في هذا المجيط المتلاطم من الأعداء القادرين والمتربصين في الداخل وفي الجوار وفي الخارج. وعزّز هذا التصور الخاطئ ما تقوم به أميركا ودول الغرب من التضييق والحصار والتآمر ضد كل من يهدّد مصالحهم، ودولة الخلافة أكبر مصدر تهديد لمصالحهم، وليس في بلاد المسلمين فحسب، وإنما في العالم كله، لأن رسالة الإسلام عالمية، ودولة الخلافة دولة رسالة، ولهذا من واجبها أن تنشر هذه الرسالة في العالم، بالدعوة والدعاية والجهاد، وفي ذلك مزاحمة لنفوذ الدول المهيمنة على العالم، واسترجاع لحقوق العباد من غاصبيها. ومن ناحية أخرى، فإن الفجوة الواسعة بين بلاد المسلمين، وكلها متخلفة، وبين أعدائها تزداد اتساعاً مع مرور الوقت، فأعداء المسلمين والإسلام، وبخاصة أميركا وبريطانيا وفرنسا، تتضاعف قواهم، وتتركز لديهم الثروة والقوة والنفوذ، والهيمنة على العالم من خلال النظام الدولي الجديد ـ القديم، المبني على دول ذات سيادة مضمونة، ومؤسسات إقليمة ودولية، وشركات اقتصادية أخطبوطية تمسك بخناق الاقتصاد العالمي، وتحتكر ثروة هذا الكوكب من خلال التجارة الحرة، والعولمة، وعن طريق صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي. فكيف يستطيع المسلمون أن يبنوا دولتهم، ويحرروا أرضهم، وينعتقوا من تسلط عدوّهم عليهم؟!. وقد ازدادت الأمور تعقيداً، حين أعاد الغرب احتلال بعض بلاد المسلمين وذلك منذ بداية عقد التسعينيات، الأمر الذي يجعل تدخلهم ضد دولة الخلافة حتى عند إعلانها ميسوراً وسريعاً.

ولتجلية الأمور عند الأمة، لا بد من التذكير والتشديد على أن المسلمين جميعاً أمة واحدة، وأن الدعوة الإسلامية موجهة إليهم جميعاً ويجب أن يحسّوا بها، وأن تصلهم، وأن دولة الخلافة، وإن قامت في قطر أو أقطار، فهي دولتهم جميعاً، وهي قامت من أجلهم ومن أجل دينهم، وأنها قامت بقرارهم المخلص المستقل، وإن واجبهم الشرعي الانضمام إليها، والمحافظة عليها، والدفاع عنها. ثم لا بد من توعية الناس على الفرق بين العلم والثقافة، وأننا نأخذ العلم من كل مكان، ونستأجر للأبحاث العلمية كل الناس، ونشتري الأجهزة العلمية والمصانع وحتى الفنيين من كل بلد، وإن الغرب تسيره المنفعة، وإن هناك الكثير من ذوي الاختصاص من المسلمين منتشرون في بقاع الأرض، وأنهم ينتظرون بفارغ الصبر أن يعودوا إلى بلاد المسلمين لخدمة أمتهم ودولتهم ودينهم، سيما إن أجزلت الدفع لهم، وتَوفّرت إمكانية تنمية قدراتهم العلمية على البحث والإبداع. ويب أن نعلم أن ليس مجرد إعلان دولة الخلافة يعتبر تهديداً للغرب ومصالحه، وإنما سلوك الدولة وخطابها السياسي، وتصرفاتها هي التي تحدد موقف الغرب وبخاصة في أشهرها الأولى، فإن أحسنت التصرف والتعاطي مع القضايا والأمور سلمت واستقرت وتوطدت أركانها، وهذا ما يجب أن يكون مخططاً له منذ الآن، حتى لا تكون التصرفات مرتجلة، وهو ما فيه الخطر الشديد على الدولة والأمة.

هذه هي أهم واجبات المرحلة، والتي إن أحسنا القيام بها، نكون قمنا بمتطلبات المرحلة، وأصبحنا أكثر تأهيلاً لاستحقاق نصر الله، فهو الناصر، ومنه نرجو النصر والسداد والتوفيق، ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ ❑

وقفة مع الرأسمالية والعلمانية

تستحوذ الحضارة الغربية على العالم، فبعد أن نشأت في أوروبا في القرن الثامن عشر، استطاعت أن تزيح الحضارة الإسلامية من مركز الصدارة، ثم لاحقتها في بلاد المسلمين حتى حلّت محلّها بعد النصر العسكري الذي حققه الغرب على دولة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، عن طريق سيطرته الكاملة على البلاد والعباد. فأخذت زعيمتا الغرب آنذاك، بريطانيا وفرنسا، تخططان للقضاء على الحضارة الإسلامية، وتجلياتها في حياة المسلمين، ثم لمنع عودة الحضارة الإسلامية إلى الوجود تتزعمهما الآن في ذلك أميركا. وكانت الفكرة الاشتراكية وطروحاتها العالمية تصفية الاستعمار، والسلم العالمي، ووحدة الطبقة العاملة، أول تحد جدي يجابه حضارة الغرب، سيما بعد أن تركز في منظومة دول المعسكر الاشتراكي بزعامة روسيا. ولكن الاشتراكية لم تستطع أن تركّز حضارة خاصة بها، وواصل الناس تسيير شؤونهم بحسب معتقداتهم الدينية، إلاّ ما كان منهمتصلاً بالدولة، التي كانت تسيّره بحسب الفكرة الاشتراكية التقدمية. وعند انهيار الاشتراكية، وتفتت الاتحاد السوفييتي في بداية العقد الحالي، سقط التحدي الجدي الوحيد للرأسمالية وللحضارة الغربية، وبذلك تفرّدت الحضارة الغربية وطروحاتها الفكرية كالديموقراطية والليبرالية ونظام الحريات، بالهيمنة على العالم. ولا يوجد الآن حضارة فيها قابلية التحدي وحتى الانتصار على الحضارة الغربية سوى حضارة الإسلام، وهي ما تزال مشاريع في أذهان المسلمين، أو أهدافاً تعمل لتحقيقها أحزاب وجماعات. فهل هذا الانتصار الكاسح لحضارة الغرب في العالم ناتج عن صحة أيديولوجية الغرب؟ أم أنه انتصار مؤقت سببه التفوق الغربي في مجال التكنولوجيا، والعلوم والمكتشفات؟ سنحاول في هذه المقالة الإجابة عن ذلك.

إن الرأسمالية هي نظام اقتصادي منبثق عن فكرة كلية عن الحياة والكون والإنسان، ولإدراك واقع الرأسمالية والحكم عليها، لا بدّ من محاكمة الفكرة التي انبثقت عنها ألا وهي العلمانية والتي تعني فصل الدين عن الحياة. وهذه العقيدة كان منبتها الغرب وعلى وجه الخصوص أوروبا ويكفي هذه الفكرة الأساسية فساداً ونقصاناً أنها لم تكن نتاج إعمال العقل في واقع الكون والإنسان والحياة وعن علاقتهم بما قبلهم وما بعدهم، وإن كانت تقرر أحكاماً بخصوص هذه المدركات وما يربطها بما قبلها وما بعدها، إلا أنّ هذه الأحكام التي تتعلق بمبدأ الإنسان والحياة والكون كان ناتجاً عن ردة فعل للحياة العصيبة التي عاشها الغربيون في القرون الوسطى والتي تجسدت في الصراع بين الكنيسة والعلم، وبين رجال الدين ــ الذين يمثلون الله على الأرض ـ ورجال الفكر الذين يمثلون الحياة العلمية المرتبطة بالنواحي المادية من الحياة. ولم يكن العقل هو الحكم النهائي في حسم هذا الصراع بشكل متجرد من كل خلفية بل إن الدماء التي سالت والرعب الذي ساد وحالة الجبروت والطغيان التي ظهرت عليها الكنيسة ـ التي كانت تمثل الدين ـ وحالة القرف والامتعاض والقهر التي أدت إلى ثورة أهل العلم وأهل الفكر فحسمت القضية بحل وسط لعدم قدرة أحد الطرفين على إلغاء الآخر. وهو الاعتراف بالكنيسة ـ الدين ـ مع فصلها عن الحياة والتي خرجوها على مذهب دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، أي الاعتراف بالمتناقضات مع استحالة اجتماعها، فعندهم أنَّ الدين

هو ضد العلم، وأن الإيمان يتعارض مع العقل إذ أن الأول يتعلق بالمغيب وهو ما لا يمكن إدراكه ـ والثاني متعلق بالحس وبالواقع الملموس أو المحسوس، ولهذا جعلوا لكلٍ منهما مجاله، فالدين علاقة بين الإنسان وخالقه، ومجاله الكنيسة، والعلم ينظم كل العلائق الأخرى، ومجاله الحياة على سعتها.

ومن هنا جاء التضارب في هذا المعتقد الذي يحتوي المتناقضات بحسب مفاهيمهم عن العلم والدين والعقل الإيمان. ولذلك كان من المحال التسليم بالعلمانية أي عقيدة فصل الدين عن الحياة فهي ليست مبنية على العقل وإنما على الحل الوسط فهي تتضمن التسليم بالدين أي الاعتراف بالخالق وبيوم الحساب، وكذلك بالحياة المادية العلمية التي هي محصلة العقل. وهكذا نجد أن هذه العقيدة ينقض أولها آخرها. لذلك كان لا بد من ردها وإنكارها.

أن العقل هو الأداة الحاكمة على الوقائع وهو ما يتميز به الإنسان عن بقية المدركات. والناظر في واقع المدركات التي تشمل الكون والإنسان والحياة يجد أنها تستند في وجودها إلى غيرها إذ أنها محدودة فهي عاجزة وناقصة ومحتاجة وبالتالي فهي ليست قائمة بذاتها بل تحتاج لموجد أزلي واجب الوجود تستند في وجودها إليه وتخضع لنظامه وسننه. وللتدليل على هذه العقيدة هناك ما لا يمكن حصره من الأدلة العقلية والكونية التي بثها الله في أنحاء مخلوقاته والتي تقطع بحتمية ارتباط الكون والإنسان والحياة بخالق خلقها جميعها.

ومن هنا نجد أن العقل هو الأداة الموصلة للإيمان وأن أصل الدين هو محصلة نظر العقل في واقع الكون والحياة. ومن هنا يتبين أيضاً بطلان تعميم قاعدة أن الدين يتناقض مع العقل إذ إنه إن انطبق على العقيدة النصرانية، التي يعترف أصحابها أنفسهم بعدم قدرة العقل على إثبات عقيدتهم وأن اعتناقها يكون من جراء إلقاء الرب نعمة الإيمان في القلب فالدين عندهم هو شيء تشعره ولا تعقله. إلاّ أنه لا ينطبق على الإسلام الذي يجعل العقل هو الحكم على صحة وصدق عقيدته، والموصل إليها.

فالعقيدة الإسلامية قائمة على أركان هي: الإيمان بوجود الخالق المدبر، والإيمان بأن القرآن من عند الله، والإيمان بمحمد خاتم الأنبياء والرسل وبأن ما جاء به هو من عند الله. وهذه الأركان هي جماع العقيدة الإسلامية وهي ما يحكم العقل المجرد عن الهوى وعن أية خلفية سوى بديهيات العقل بصحتها ومطابقتها للواقع.

ومن هنا نجد أن الرأسمالية مبنية على عقيدة منهارة أصلاً، ولا تصلح لأن تكون القاعدة الفكرية التي يبني الإنسان عليها حياته، فالتناقض والتضارب صارخ في أصلها وما بني على باطل فهو باطل، ولذلك كانت أنظمتها للحياة باطلة، ولا تحقق سعادة البشر.

ولعل التفصيل هنا يعطي نماذج واضحة على عدم صلاحية الرأسمالية للإنسان أي إنسان لأنها لا توافق الفطرة ولا تقنع العقل فتملأ النفس اضطراباً والقلب همّاً والحياة بؤساً.

والإنسان وما في فطرته من غرائز وحاجات عضوية (وهي الطاقة الحيوية التي تحتاج إلى الإشباع) قد مسختها الرأسمالية، إذ أخرجت الإنسان من تحت سلطان الله وتدبيره، مع اعترافها الضمني بوجوده، فأنكرت

وجود علاقة تدبير من الخالق تضبط حياة الإنسان لإصلاح حياته فاعترفت لِلّه بالخلق، ولكن لا أمر له بيننا، ولا حكم له على أفعالنا، فالله له الخلق فقط وليس الخلق والأمر، كما يقول تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾. فأقرت حاجة الإنسان إلى خالق يخلقه، وأنكرت حاجته إلى مدبّر، وهي ما تنطق بها فطرته ما اضطر الإنسان للاعتماد على ذاته ليعرف مصلحته ومنفعته، فحولته إلى وحش كلُّ همه هو إشباع أكبر قدر من اللذة الحسية الآنية، ولذلك كانت الأثرة والأنانية محور تفكيره. فعلى مقدار تحقيق النفعية الأنانية على قدر ما ينسجم الإنسان مع الرأسمالية، وفي هذا تشويه لفطرة الإنسان، الذي لديه غرائز تعتبر من مقوماته كإنسان وهي خارج دائرة الأنا والتي إن لم يتم إشباعها أدى ذلك إلى شقاء الإنسان وتعاسته.

وهناك غرائز يضحي الإنسان بنفسه من أجل إشباعها، فهو يبذل نفسه رخيصة في سبيل إعلاء راية دينه أو نصر مبدئه، وهذه من مظاهر غريزة التدين، وهو يضحي بماله وبراحته وربما بنفسه من أجل أولاده، وهذه من مظاهر غريزة النوع، ولهذا فإن الإنسان إذا جعل نفسه مركز الدائرة التي يدور ضمنها، فإنه يشقى، والأصل في المبدأ الصحيح أن يحقق سعادة الناس.

هذا على الصعيد الفردي، أما على الصعيد العالمي، فهي تجعل العلاقات بين الدول تتحكم فيها النفعية، وتسلط الأقوياء على الضعفاء ولا تجعل للضعفاء مكاناً في الأرض، إذ لا أحد يفكر فيهم ولا في قضاء حوائجهم، فهم عالة على البشر، والأولى أن يموتوا، هذه نظرة الرأسمالية اللاإنسانية، وما الاستعمار إلا المرحلة النهائية من الرأسمالية، إذ تتسابق الدول القوية على استضعاف من كان به ضعف، من أجل استغلاله وامتصاص دمه، ومن هنا تنشأ المنازعات بين الدول الاستعمارية، وبالتالي الحروب المدمرة. وباستعراض الحروب في القرنين الماضيين، نجد أن سببها التكالب على المصالح المادية، والتنازع على خيرات الشعوب.

وفي السنوات الأخيرة، ظهرت بدع العولمة والخصخصة، التي تجعل للأقوياء حق استغلال الطاقات البشرية والفنية والموارد الطبيعية، والأسواق التجارية في كل مكان في العالم، وذلك بشكل مسموح به قانونياً، وتؤكده الاتفاقات الدولية مثل منظمة التجارة العالمية، ويعمل على حماية هذه الاستثمارات بقوة السلاح، حتى لا يخطر ببال أحد أن ينقلب عليها، ويطالب بترحيلها أو بإضعاف سطوتها.

أن الرأسمالية بنيت على جرفٍ هارٍ فهي أصلاً وفصلاً باطلة ولا تصلح للإنسان كونها لا تنسجم مع فطرة البشر فتطبيقها عليهم يخلق المشاكل والأزمات المتتالية وما أن يتم ترقيع مشكلة حتى تظهر أزمة جديدة فأصبح الحل الوحيد بعد أن اتسع الفتق على الراتق هو إسقاط الرأسمالية كنظام والعلمانية كعقيدة من حسابات البشر لأنها لا تصلح سوى لتدمير البشرية والإجهاز عليها. ومن الغريب، أن يتشدق أناس بانتصار الرأسمالية على ما عداها، وبأن التاريخ قد توقف، لعدم وجود من ينافس الرأسمالية، وذلك صحيح بالنسبة للاشتراكية، أما بالنسبة للإسلام، فهو لم يستقر الآن في دولة تحمله للعالم، وهو عائد إلى الحياة الدولية بقوة، وعن قريب، وعندها سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

إنّ العلمانيــة هــي الجرثومــة الــتي تصـيب بمــرض اسمــه الرأسماليــة يُعنــى بالقضــاء علــى الإنســان كإنســان. فهـل بعـد هـذا كلـه يصـح القـول بـأن علينـا أن نأخـذ مـن الغـرب الكـافر مـا نصـلح بـه حالنـا مـن علمانيـة ورأسماليـة، وهي كفر محض تهبط بالإنسان إلى أدنى مراتب الانحطاط؟!

هـل نسـتبدل الـذي هـو أدنـى بالـذي هـو خـير وهـو الإسـلام الـذي ارتضـاه الله لعبـاده والـذي لا يصـلح البشـر إلا بـه. وهـو القائـل: ﴿يـا أيهـا الـذين آمنـوا استجيبوا لله وللرسـول إذا دعـاكم لمـا يحيـيكم﴾ ويقـول: ﴿ومـن أعـرض عـن ذكـري فـإن لـه معيشـة ضـنكا ﴾ فالرأسماليـة والعلمانيـة هـي الكفـر الـذي يحـط مـن قـدر الإنسـان بـل ويخرجـه عـن إنسانيته.

والإسـلام هـو الـذي يقـرّر مـا في فطـرة الإنسـان مـن ضـعف وعجـز واحتيـاج، لـيس فقـط إلى موجـد أوجـده مـن عـدم، وإنمـا إلى مـن يـدبر لـه أمـر تنظـيم إشـباع طاقاتـه الحيويـة علـى وجـه بضـمن لـه الهنـاءة والسـعادة، والإشـباع الصحيح θ

أبو بلال المقدسي

المصالح الحقيقية للأمّة

إن أساس وجود العلاقات بين الناس هو وجود المصالح، فالذي ينشئ العلاقة بين الناس هو المصلحة، فإذا وجدت المصلحة كانت العلاقة، وإذا لم توجد المصلحة لا توجد علاقة، والمصلحة مبنية على فكر عن الشيء أو الأمر بأنه مصلحة، فإذا توافقت أفكار الناس على أمر بأنه مصلحة وجدت بينهم علاقات، وتوحدت هذه الأفكار، وإذا اختلفت أفكارهم على أمر من حيث كونه مصلحة أو لا، فإنه لا توجد بينهم علاقات. فالذي يوجد العلاقات بين الناس هو اتفاق أفكارهم على أمر ما بأنه مصلحة، وهذا هو أول شيء في وجود العلاقات، على أن ذلك لا يكفي لوحده بل لا بد من توافق مشاعر الناس نحو هذه المصلحة، أي لا بد من توافق سخطهم ورضاهم عنها حتى توجد العلاقات، كما يجب أن يتوحد النظام الذي يرعى المصلحة، حتى توجد العلاقة، ولا يُختلَف بشأنها.

وواقع المصلحة أنها تعني إما جلب منفعة أو دفع مضرة، وهذا الواقع لا خلاف فيه بين البشر لأنهم قد فطروا عليه، ولكن نظرتهم إلى المصالح تختلف باختلاف وجهة نظرهم في الحياة، فبتغيرها تتغير نظرة الناس إلى المصالح. ونظرة الإنسان إلى المصالح، أي إلى المنافع والمفاسد، تتكون من حكمه على أفعال الإنسان ومتعلقاتها، فما حكم عليه بأنه حسن أقدم عليه واعتبره بأنه منفعة، وما حكم عليه بأنه قبيح ابتعد عنه واعتبره مضرة. فاعتبار المصالح يكون بالحكم على الأفعال والأشياء فحيثما يكون الشرع فثمة المصلحة، وهذا الحكم لا يخرج عن كونه إما من عند الله أو من عند الإنسان، أي هو إما عائد للشرع أو عائد للعقل والهوى، والمقياس لا يعدو كونه إما الحلال والحرام وإما المنفعة المادية. والمتتبع للنصوص الشرعية في الإسلام يرى أنها تدل على أن نظرة المسلم للأفعال والأشياء يجب أن تكون الحلال والحرام، وهذه النظرة هي التي تعين موقفه اتجاه الأفعال واتجاه الأشياء قال تعالى: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آللهُ أذن لكم أم على الله تفترون﴾ ويقول: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾، ويقول: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذبَ هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾. والرسول ﷺ يقول: «يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدناه منه من حلال استحللناه وما وجدناه من حرام حرمناه، ألا إن ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله» ويقول أيضا: «إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهة».

وهكذا فالحياة في نظر المسلم مقياسها الحلال والحرام، وليست المنفعة أو المصلحة أساسا أو مقياسا للمسلم يحصر نظرته فيها لأن الحياة الدنيا ما هي إلا طريق للآخرة وما وجد الإنسان فيها إلا من أجل عبادة الله سبحانه وتعالى. قال تعالى﴿وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ فالغاية هي الآخرة وما الحياة الدنيا إلا ابتلاء وممر وليست هي بالحياة الحقيقية قال تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ أي الحياة الحقيقية.

ولكن تلبية المصالح الدنيوية لا بد منها ورعايتها أمر حتمي لا غنى للناس عنه، ولذلك كان لا بد من وجود السلطان الذي لا يصح أن تخلو الأمة من وجوده في أي لحظة من اللحظات، لأن وجوده واجب حتمي تحتمه طبيعة حياة الأمة، وخلو الأمة من أمير لا يصح أن يحصل ولا بحال من الأحوال. ومن هنا كانت السلطة رعاية

مصالح الناس، وكانت النظرة إلى المصالح هي الأساس في أخذ السلطة، وهذه النظرة هي مجموعة الأفكار والمفاهيم والمقاييس عن الحياة وهي أساس تحول السلطان، وقيامه في الناس. ومن هنا كانت أية محاولة جدية لإيجاد السلطان يجب أن يسبقها وجود الأفكار والمفاهيم والمقاييس بين جماهير الناس، وهذا يعني بالضرورة وجوب مخاطبة الجماهير والتي هي الجماعات المتجمعة تجمعا آنيا بالأفكار والمفاهيم والمقاييس المراد إقامة السلطان على أساسها فضلا عن مخاطبة مختلف فئات وأفراد الأمة بها.

ولا يتوقف الأمر عند حد المخاطبة بل لا بد لمن يبتغي السلطان أن يتعرض للعلاقات، أي لا بد من التعرض للمصالح القائمة على أسس مخالفة لما يراد إيجاده ويسعى لتحقيقه. ومصالح الناس قد تكون دائمية وقد تكون آنية، فالدائمية منها يتعرض لها بالصراع الفكري والتثقيف المركز والجماعي وأما الآنية فيتعرض لها بالكفاح السياسي والذي يعتبر تبني المصالح جزءاً لا يتجزأ منه، وتبني المصالح هو غير رعاية المصالح لأن رعاية المصالح تكون من قبل السلطة التي بيدها الحكم والتنفيذ، وأما تبني المصالح فيكون من قبل السياسي الذي لا يملك الحكم والسلطان ولكنه يعمل جاهدا لجعل ما تبناه من مصالح محل رعاية.

ولهذا لا بد للسياسي المسلم من التعرض للعلاقات القائمة بين الناس في المجتمع، وتبيان أنها لا تقوم على وجهة النظر الإسلامية، كما لا بد من التعرض لعلاقة الحكام مع المحكومين، وإبراز عمالة الحكام لعدو الأمة الكافر، وأن رعايتهم للشؤون ليست رعاية صحيحة، وأن حلولهم لمشاكل الناس تزيدها تعقيداً، كما يجب عدم إغفال العلاقات بين دول المسلمين وأنها يجب أن تكون علاقات الإخوة في البلد الواحد، كما أن علاقة المسلمين بغيرهم يجب فيها إبراز أننا أمة واحدة تحمل رسالة السماء إلى العالم بالدعوة والجهاد.

وأهم مصالح المسلمين الدائمية وأكثرها مصيرية ثلاث:

الحفاظ على العقيدة الإسلامية، وإيجاد الخلافة والحفاظ عليها، وديمومة وجود الجهاد في سبيل الله فالعقيدة أساس الدولة وأساس المجتمع وأساس الحياة الإسلامية، والخليفة حارس للعقيدة والبلاد والعباد، وما لا أساس له ينهدم. وما لا حارس له يضيع. والجهاد لرد العدوان وحمل رسالة الإسلام. يقول سبحانه وتعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله﴾ وقال: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ وهذا تهديد صريح بعذاب الله لمن يجعلون تلك الأمور أحب إليهم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، وعليه فلا يحل لمسلم أن يجعل حياته وحياة أولاده ورفاهيتهم في رأس سلم القيم، ثم بعد ذلك يأتي الإسلام والجهاد، لأنه إن فعل ذلك أثم واستحق عذاب الله، ومن لم يراع هذا الترتيب وحصل عنده اضطراب في هذا السلم فإنه بلا شك سوف لا يبقى في الحزب وسيسقط من أعلى درجات السلم.

فهذه المصالح الثلاث هي مصالح الأمة المصيرية والحيوية والاستراتيجية، هي مثلث الإسلام السياسي الذي يوحد هموم المسلمين وأهدافهم وأولوياتهم ومصائرهم. وكل مصلحة أخرى غير هذه لا تعدو كونها متممة لها أو مكملة لمقتضياتها. وتصاغ تلك المصالح بشكل أهداف قابلة للتحقيق، ويغلب في إظهارها جعل درء المفاسد مقدماً على جلب

المنافع لخطورة وقع المفاسد على الأمة ولكون الأمة اليوم مغلوبة على أمرها فهي تعيش في أحلك لياليها وتحيط بها المفاسد من كل جانب حتى لا تكاد ترى منافع البتة أمام ناظرها.

ويمكن صياغة المصالح الحقيقية للأمة في أهداف قابلة للتطبيق وفقا للخطوط العريضة التالية:

أولا: التركيز في كل قطر إسلامي على خضوع ذلك القطر لنفوذ الكفار في كل مجالات الحياة: العسكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإثبات ذلك الخضوع بالأدلة والشواهد وبيان حرمة خضوع المسلمين للكفار وللكفر، ثم بيان كيفية التخلص من ذلك النفوذ ببيان الأحكام الشرعية في تلك الجوانب منزلة على الوقائع، ويتم بذلك شحن الأمة بالعداء للكفار ولأدواتهم من الفئات الحاكمة والسياسيين المرتزقة والمثقفين المضللين.

ثانيا: إثارة مشاعر البغض والكراهية ضد أمريكا بالذات لدى جميع شعوب الأمة الإسلامية لتوحيد مشاعر سخطها في كل أقطارها ضد أمريكا باعتبارها الدولة التي لا يخلو بلد من بلدان المسلمين من وجود لها فيه. وبيان عدوانيتها للشعوب يكون مصحوبا بالإثباتات والأدلة والبراهين لتقرير أنها العدو رقم واحد للإسلام والمسلمين، ويلاحظ ذلك عند الناس عند ملاحقة نفوذها وأعمالها في كل بلد إسلامي وإبراز خطورة ذلك النفوذ وتلك الأعمال، وتحريض الشعوب الإسلامية ضد الوجود الأمريكي وإلصاق مسؤولية ذلك الوجود الاستعماري الخطير في بلاد المسلمين على الحكام الذين قبلوا بالإملاءات الأمريكية ويتحملون بذلك عار الخنوع لها.

ثالثا: الاستمرار في ضرب فكرة الديمقراطية باعتبارها أخطر فكرة غربية غزانا بها الغرب الكافر وكان قد زاد في حملته المسعورة للدعوة لها بشكل خاص في البلاد الإسلامية منذ أكثر من ثلاثين عاما لأجل حمل الشعوب الإسلامية على القبول بها بحجة عدم معارضتها للإسلام وبوصفها واحدة من الثوابت التي لا مجال لتغييرها عند كل شعوب الأرض، ثم مهاجمة فكرة الديمقراطية أولا من جهة كونها جزءا من الغزو الثقافي الغربي وثانيا من جهة كونها خيالية ويستخدمها الرأسماليون لمخادعة الشعوب وفرض سيطرتهم عليها مع أنها في الأصل غير قابلة للتطبيق، وثالثا من جهة كونها من صنع البشر وليست من عند الله سبحانه وتعالى، ثم بيان معاني السيادة والسلطان في الإسلام ومهاجمة الأفكار السياسية المرتبطة بها من مثل التعددية السياسية، وتداول السلطة، وحقوق الإنسان.

رابعا: التشديد على خطورة عمل الشركات الأجنبية في ديار المسلمين والتشكيك في أهدافها وتحريض الجماهير والأفراد ضدها باعتبارها أحد أخطر أوجه الاستعمار الاقتصادي الحديث للدول، وباعتبارها الأفعى الاقتصادية التي تقف من وراء كل الهزات المالية والاقتصادية العنيفة التي عصفت في الدول التي تسمى النامية ثم شرح دور هذه الشركات الفظيع نيابة عن حكوماتها في فرض أسلوب جديد من الاستعمار على البلدان الضعيفة، ثم بيان الأحكام الشرعية التي تثبت حرمتها وحرمة القبول بها وحرمة التعامل معها، وإثبات البدائل الشرعية التي أوجبها الإسلام على المسلمين بدلا منها. ثم مهاجمة تجليات الجشع الرأسمالي في العولمة والتجارة الحرة والخصخصة.

خامسا: حمل شعوب الأمة الإسلامية في كل أقطارها على نبذ الروابط القومية والوطنية والقبلية والمذهبية والإقليمية. وإحلال رابطة الأخوة الإسلامية محلها وجعل المسلمين يستشعرون قوتهم حال ترابطهم بها ويدركون أن

أحد الأسباب الرئيسية لضعفهم هو ارتباطهم بروابط القوم والوطن والدم والمذهب مع طرح الأمثلة الواقعية على ذلك كما هو الحال في أفغانستان وبلاد العرب والفرس والترك ومعظم بلاد المسلمين.

سادسا: تسليط الأضواء على قضايا المسلمين الساخنة من مثل: قضية فلسطين وكوسوفو والعراق وجنوب السودان والجزائر وأفغانستان وطاجيكستان والشيشان وأذربيجان والفلبين وإندونيسيا وماليزيا والصحراء الغربية وغيرها وذلك بشرح واقع كل منها وبيان كيفية معالجتها وفقا للأحكام الشرعية وتعزيز الرأي العام الجماهيري بتلك المعالجات الشرعية من خلال تكرار إنزالها على الواقع.

إن هذه الأمور الستة وهي: خضوع المسلمين لنفوذ الكفار وكيفية التخلص من هذا النفوذ وإثارة مشاعر الكراهية لأمريكا والاستمرار في ضرب فكرة الديمقراطية والتشديد على خطورة عمل الشركات الأجنبية في ديار المسلمين وحمل الشعوب الإسلامية على نبذ الروابط القومية والوطنية والقبلية والمذهبية والإقليمية وتسليط الأضواء على قضايا المسلمين الساخنة، إن هذه الأمور الستة وبهذا التحديد هي التي تصلح لأن تكون أساسا للخطوط العريضة التي بموجبها تصاغ مصالح الأمة ويتم تبنيها.

واختيار هذه الأمور الستة على ما سواها آت من تقدير أنها الأكثر قابلية للإدراك والتبني من قبل الأمة، ولكونها الأشد خطورة على المسلمين إن لم تتم معالجتها، ولفت الأنظار إليها، وإدخالها في دائرة مركز تنبه الأمة الإسلامية في كافة أقطارها، ولكونها تشترك جميع بلدان المسلمين في النظر إليها باعتبارها من أولويات مصالحها.

تلكم هي الخطوط العريضة التي نرى أنها تصلح لصياغة مصالح الأمة المتجددة الحقيقية والتي هي مصالح عامة وحيوية وحساسة في كل الأقطار المسلمة مع ملاحظة أنه لا ينبغي لتلك المصالح أن تنفصل عن مثلث مصالحها المصيرية والجوهرية وهي العقيدة والخلافة والجهاد وإنما هي مكملة لها ومعززة لإيجادها ومتممة لمتطلباتها نسأل الله سبحانه وتعالى أن تتحقق تلك المصالح إنه سميع مجيب ❑

أحمد الخطيب ـ القدس

دردشات سياسية

أولاً: أرنون والأحداث الأخيرة في لبنان

اشتدت الغارات الإسرائيلية في شهر شباط (فبراير) على جنوب لبنان وخاصّة على أهداف يشتبه أنها مواقع تابعة لحزب الله. فقد ذكرت المصادر أنه تم قصف قرى وبلدات في المنطقة المحررة في جباع واللويزة في منطقة إقليم التفاح (المعقل الرئيس لحزب الله في جنوب لبنان)، وقد تم قصف المنطقة الواقعة بين جبال البطم (أحد معاقل حزب الله) وبلدة ياطر شمال القطاع الغربي للشريط الحدودي، بالإضافة إلى قصف مناطق سهل يحمر ومجرى نهر الليطاني وأطراف بلدات مجدل سلم وقبريخا والصوانة ووادي السلوقي، وقصف بالمدفعية الثقيلة محيط ثكنة الجيش المهجورة في النبطية وضواحيها وكفر تبنيت ومزرعة الحمرا، وضواحي زوطر الشرقية والغربية.

ومع الغارات الإسرائيلية كانت ردود المقاومة اللبنانية مباشرة (لكن ضعيفة). فقد هاجمت موقع القوات الإسرائيلية في الدبشة، وتعرضت لدورية عسكرية على طريق قلعة الشقيف، وهاجمت موقعين آخرين مستخدمة القذائف المدفعية والهاون ما شكّل ذريعة لتكثيف الغارات الإسرائيلية.

أرادت إسرائيل من تكثيف غاراتها ومن ردود حزب الله عليها جعل قضية الوجود اليهودي في جنوب لبنان القضية الأولى في الشارع الإسرائيلي، وأن يكون الانسحاب منه مطلب اليهود أنفسهم، ولكي تسلط الأضواء على هذه القضية قامت إسرائيل صباح يوم الخميس ١٩٩٩/٢/١٨م بتوسيع احتلالها للجنوب بإعادة ضم قرية أرنون للشريط الحدودي البالغ ٨٥٠كم مربع، وقامت بوضع الأسلاك الشائكة وزرع الألغام حول القرية، ثم هدمت أكثر من ثلاثة عشر منزلاً فيها، وأطلقت الرصاص في اليوم التالي على أهالي البلدة الذين حاولوا إزالة الأسلاك الشائكة، ما جعل احتلال البلدة يبدو للعالم جدّياً، ثم كان الرد من حزب الله بقتل ثلاثة ضباط كبار، قائد وحدة المظليين وضابطين في بركة الجبور، بالإضافة إلى إصابات أخرى في الجيش، ما جعل نتنياهو يبدأ بتصريحاته الانهزامية تجاه احتلال لبنان ليوصل رسالة إلى شعبه أنه حان الوقت لبحث الانسحاب، وظهر ذلك في تصريحاته، فقد قال للإذاعة الإسرائيلية لديٍ تفقده الجرحى «هناك حظ سيئ أحياناً، وهناك أوقات صعبة، ولقد رأينا اليوم إحدى الحالتين» وأضاف «لا يمكن دائماً في هذا النوع من الحرب التي نواجهها في لبنان التخطيط لكل المعطيات، وبفضل الروح القتالية لجنودنا سنتوصل أخيراً إلى ترتيبات تسمح لنا بمغادرة لبنان بحذر ومسؤولية واعتزاز».

وبعدها بأيام وبمرور أسبوع على احتلال أرنون قام شباب وطلاب لبنان يوم الجمعة ١٩٩٩/٢/٢٦م بإزالة الأسلاك الشائكة واقتحام البلدة، وقد اكتفى الجيش الإسرائيلي حينها بإطلاق النار في الهواء، والذي يدل على عدم جدية إسرائيل باحتلال أرنون زراعة ألغام ظهر فيما بعد أنها وهمية، ويبدو أن أميركا رتبت سحب اليهود من أرنون عن طريق شباب لبنان، لأنها طلبت من لبنان عدم تقديم شكوى إلى مجلس الأمن لأنها تعالج الأمر بشكل هادئ.

قامت إسرائيل بعد أيام بغارات على وادي زلايا المتاخم للقطاع الشرقي للمنطقة المحتلة في الجنوب، فتبع ذلك هجوم من حزب الله استهدف قافلة لمسؤولين أمنيين يهود، قتل منهم الجنرال غيرشتاين مسؤول الارتباط مع ميليشيا لحد بالإضافة للناطق العسكريٍ الإسرائيلي وجندي ثالث ومراسل الإذاعة الإسرائيلية إيلان روي. وكل هذه العمليات تصب في خانة حرق نتنياهو شعبياً، لأنه مسؤول عن مقتل الضباط في نظر الشعب اليهودي، كما أن سحب قواته من أرنون اعتبر هزيمة شخصية له.

لقد جعلت كل هذه الأحداث نظرة اليهود لاحتلال جنوب لبنان على أنه شر يجب أن يزال، وصرح نتنياهو بعد هجوم المقاومة اللبنانية الأخير ممهداً لذلك «إن المشكلة في لبنان عميقة، والحدود غير هادئة مع هذا البلد» وقال: «إن هدفنا النهائي هو الانسحاب من جنوب لبنان» وأكد: «أنه ليس لإسرائيل النية لضم أي شبر من الأراضي اللبنانية» وأشار إلى أن «كافة الإجراءات التي تتخذ على الأرض (في جنوب لبنان) هي مؤقتة وتستهدف حماية إسرائيل من هجمات حزب الله».

لقد أصبحت قضية الانسحاب من جنوب لبنان قضية رئيسة في الشارع اليهودي، حتى تظاهر عشرات الأشخاص أمام مقر وزارة الدفاع في تل أبيب احتجاجاً على بقاء القوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني، الأمر الذي جعل عرض الانسحاب من الجنوب يُتنافس عليه في الانتخابات الإسرائيلية المقبلة، فقد صرح زعيم المعارضة العمالية باراك «أتعهد العمل على إجراء

هذا الانسحاب خلال سنة كحد أقصى بعد انتخابي، أي قبل يونيو ٢٠٠٠»، فلحقه مباشرة نتنياهو قائلاً للإذاعة الرسمية «أعتبر أن من الممكن التوصل إلى نتيجة تتيح الانسحاب من جنوب لبنان خلال السنة المقبلة ولكنني أرفض الارتباط بموعد محدد». وقد التقط نتنياهو ما نقله مراسل هيئة الإذاعة البريطانية عن رئيس الوزراء اللبناني سليم الحص، عن استعداد الحكومة اللبنانية لنشر قوات الجيش على الحدود الدولية ومنع عمليات المقاومة اللبنانية ضد الأراضي الإسرائيلية بموجب اتفاق الهدنة عام ١٩٤٩ فأوفد أحد مستشاريه إلى العاصمة الفرنسية ليبحث موضوع الانسحاب من جنوب لبنان. إن مشكلة جنوب لبنان أصبحت كابوساً على القادة والشارع اليهودي، لأن اليهود يجلدون يومياً هناك، ويعلمون أنه غير مسموح عقد اتفاق سلام منفصل مع لبنان، وممنوع عليهم أن يسحبوا قواتهم من جنوب لبنان، إلاّ بعد أن يوافقوا على الانسحاب الكامل من الجولان السوري المحتل، فقضية جنوب لبنان مرتبطة مع قضية الانسحاب من الجولان، وهذا فحوى تلازم المسارين السوري واللبناني، وهذا هو مفهوم السلام الشامل الذي يطالب به المسؤولون السوريون واللبنانيون، ويصر عليه المسؤولون الأميركان والفرنسيون وكوفي أنان.

حسن ضاحي ـ الكويت

ثانياً: حلف الأطلسي لماذا؟

بعد أن تفتت الاتحاد السوفيتي، واستقلت جميع الجمهوريات التي تكوّن منها، انفلتت دول أوروبا الشرقية من قيودها، وتهاوت أنظمة الحكم فيها، وانقلبت على اشتراكيتها، وانفرط حلف وارسو، وسحبت الصواريخ المغروسة على أراضيها.

بعد ذلك كله، لم تستطع روسيا العودة إلى قيصريتها، وأرادت العودة إلى أن تكون جزءاً من القارة الأوروبية، فحاولت الرجوع إلى حرية السوق، ولكنها تتعثر؛ فاعتراها الارتباك السياسي لأنها فقدت الكثير من مكونات الانفراد بالقرار السياسي، ودب الاختلال في ميزانها الاقتصادي. وتراكمت عليها الديون وتفاقمت المشاكل السياسية والاجتماعية، حتى إن الكثيرين من الموظفين والمستخدمين تمر عليهم الشهور ولا يتقاضون رواتبهم، وتوقفت التقديمات الاجتماعية التي كانت حكومات الاتحاد السوفيتي تقدمها لشعوبها، وزاد في خطورة الوضع تدهور صحة يلتسين وتشبثه بالسلطة. حينذاك أدركت أميركا أنها الوحيدة القادرة على إدارة العالم بأسره، وظهر ما سمي النظام العالمي الجديد، الذي تتفرد فيه أميركا بقيادة العالم، من خلال منظمات إقليمية ودولية تتربع هي على عرشها، وبهذا أصبح العالم أحادي القطبية، بعد أن كان رباعي القطبية منذ الحرب العالمية الثانية، وإلى اتفاق كينيدي وخروشوف حيث أصبح ثنائي القطبية.

لكن هذا النظام الجديد، الذي تتزعمه أميركا أنتج ردود فعل سلبية لها. فانفلتت أوروبا من قيودها، وشعرت بزوال الكابوس المخيف الذي كان يهددها، وهو الاتحاد السوفيتي، وحلف وارسو. ولم تعد تستشعر حاجة لبقاء حلف الأطلسي، أو لبقاء أوروبا تحت الزعامة الأميركية، أو لبقاء الجيوش الأميركية في قواعد ثابتة في أوروبا.

ولكن أميركا عندما عمدت إلى تشكيل هذا الحلف بعد الحرب العالمية الثانية كانت ترى أمامها ليس فقط الاتحاد السوفيتي العدو المباشر، ولكن أيضاً الدول الأوروبية الشريك الاستعماري المنافس لها. فكان الحلف المذكور بالنسبة لأميركا يؤدي إلى ردع واحتواء الاتحاد السوفيتي، وإلى أن تُسلم أوروبا قيادها لأميركا وتعترف بتبعيتها لها.

فلما زال العامل الأول، بانتهاء الاتحاد السوفيتي، وانتهاء حلف وارسو، كان لا بد أن يبقى الحلف قائماً بوظيفته الثانية، وهي الهيمنة الأميركية على القارة الأوروبية.

لقد اكتمل للاتحاد الأوروبي بنيانه الاقتصادي وفي طريقه إلى الاتحاد السياسي ليشكل الغطاء لوحدته النقدية والاقتصادية، فله برلمانه ومجلس وزرائه وميزانيته وبنكه المركزي، وعملته الموحدة (اليورو) وأجهزته الأمنية وغيرها. كما يملك هذا الاتحاد اقتصاداً قوياً ومستقراً؛ فكان لا بد أن يظهر عالمياً كمنافس للولايات المتحدة.

نعم ـ لقد بدأ التنافس والمزاحمة، وبدأت المواجهة اقتصادياً وسياسياً، في كثير من مناطق العالم؛ في آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط. فالتنافس بين الفرنكوفونية واللغة الإنجليزية واضح في إفريقيا، والصراع على

شمال إفريقيا حاد بين أميركا وفرنسا، والحروب الإقليمية في دول إفريقيا وراءها دول الاستعمار الثلاث أميركا وبريطانيا وفرنسا، والتنافس على نفط الخليج وخيراته وعلى سلب ثرواته باسم التسليح وبناء المشاريع الخدماتية واضح للعيان. حتى داخل مجلس الأمن ظهر الصراع في موضوع العراق، وفي توسيع الدول الدائمة العضوية. ناهيك بدول جنوب شرق آسيا.

وهذا يجعل أميركا أشد تمسكاً بحلف الأطلسي، وأكثر تصميماً على توسيعه، وتعميم أنشطته، فبدأت بإدخال دول شرق أوروبا في الحلف، وتعمل على مدّ نشاطاته إلى خارج القارة الأوروبية، وتحاول إبراز أن دول الاتحاد الأوروبي غير قادرة على حل مشاكلها، في حين نجحت هي في حل مشكلة شمال إيرلندا، ومشكلة البوسنة والهرسك، وتحاول حل مشكلة إقليم كوسوفا.

فتحي سليم . الزرقاء

ثالثاً: التجسس على الشبكات الإلكترونية

نشرت مجلة أسبوعية تصدرها جريدة فرانكفورتر رندشاو، الألمانية يوم ١٩٩٨/١٢/٨، مقالاً يتحدث كاتبه عن موضوع التجسس عبر الشبكات الإلكترونية، فأورد بعض الصفقات التجارية التي عقدتها بعض البلدان الرأسمالية، والتي ما كانت لتتم لولا التجسس على الدول المنافسة عبر الشبكات الإلكترونية. ويذكر الكاتب أن أكبر جهاز لمراقبة الشبكات الإلكترونية موجود في أميركا ويسمى جهاز الإشلون وبواسطته تستطيع المخابرات الأميركية التنصت على كل مكالمة تلفونية وكل بريد إلكتروني وفاكس في كل أنحاء العالم. وهذا الجهاز لم يعترف به رسمياً، غير أنه قد تم النقاش حوله في البرلمان الأوروبي وبحث كيفية التصدي له.

وقد سبق أن نُشر أن ست دول أنجلو ساكسونية تقوم بتسجيل كل المكالمات التليفونية، والرسائل الإلكترونية ورسائل الفاكس في كل أنحاء العالم، ومن هذه الدول: أميركا، بريطانيا، أستراليا وكندا.

المعلومات التي يُحصل عليها من قبل أكبر منظمة مخابراتية أميركية عن طريق هذا الجهاز يتم جمعها في مانوث هل قرب مدينة ليتس الإنجليزية ومن ثم ترسل عبر الأقمار الصناعية إلى فورت ميدا في ولاية ماريلاند الأميركية، وهناك يتم تحليلها بمساعدة العقل الصناعي (ميمكس)، الذي لديه كل معاجم اللغات، بالبحث عن مفاتيح كلمات معينة. تكون محددة للجهاز، لقد تم إنشاء هذا الجهاز (الإشلون) في فترة الحرب الباردة، لكن سرعان ما استخدم من قبل مؤسسات وشركات وأفراد للتجسس على أهداف غير عسكرية. ويرغب الاتحاد الأوروبي في القيام بدراسة حول أساليب التجسس من قبل هذه المؤسسة المخابراتية وإذا توصلوا إلى أن المؤسسة تسيء استخدام جهاز الإشلون (وذلك بالتجسس على أهداف مدنية) فهذا يعني الطعن بمبادئ أوروبا الديموقراطية. ثم يخلص الكاتب إلى أنه ليس هناك وسيلة لحماية المعلومات المرسلة عبر الشبكات الإلكترونية وأن أضمن صيغة للإرسال هي البريد الجوي. كما قيل الكثير عن خطورة الأجهزة النقالة، وأنه يمكن تحديد منطقة البث، وبالتالي تحديد مكان المرسل لعدة أشهر خلت.

رابعاً: سقوط روسيا

في تقرير عن روسيا كتبه سعود الناصري في جريدة القدس الصادرة في ٩٩/٣/١٧ تحت عنوان «روسيا ١٩٩٩: فقر ومافيا وديون» جاء فيه:

أن روسيا تعيش اليوم أكثر من أي وقت مضى عواقب سياسة «الإصلاح بالصدمة» التي بدأت عام ١٩٩٢م حيث الفقر والبطالة والجريمة والفساد والديون الهائلة، مصحوبة بتردي الأوضاع الثقافية والعلمية والأخلاقية ناهيك عن تزايد أخطار النزعات الانفصالية في الأقاليم الاتحادية وحتى الآن لم يظهر بصيص أمل في النفق الروسي المظلم.

«ارتفع الإجمالي العام لديون روسيا إلى حوالي ١٥٠ مليار دولار ... وينبغي على روسيا أن تدفع خلال هذا العام ما قيمته ١٧,٥ مليار دولار للمقرضين الأجانب، و ٤,٥ مليار دولار لصندوق النقد الدولي، و ١,٥ مليار

دولار لحملة سندات الخزينة، بكلمة أوضح عليها أن تدفع ٢٣,٥ مليار دولار بينما لا تستطيع عملياً إلا ٤,٥ مليار دولار فقط. وقال ميخائيل كريمر نائب رئيس هيئة الشؤون الدفاعية والأمنية والإصلاح العسكري في المجلس الاستشاري لرئيس الدولة بالحرف الواحد: التوتر في روسيا قد يبلغ درجة يتحول معها إلى انفجار يقضي على أسس الدولة ويؤدي بالبلاد إلى فوضى ظلامية لفترة طويلة». «ويخشى كريمر أن تتحول روسيا إلى دويلات متعددة».

ويقول التقرير: «ومن الكوارث الأخرى التي تنتظر روسيا ما أوردته مؤخراً لجنة الدولة للإحصاء حيث أشارت إلى أن عدد سكان البلاد يمكن أن يتقلص إلى النصف مع حلول منتصف القرن الواحد والعشرين (يبلغ الآن حوالي ١٤٦ مليوناً) فقد انخفض معدل الولادة خلال ١٩٩٨/١٩٩٧م بنسبة ٦٪ بينما ارتفع معدل الوفيات بنسبة ٣,٥٪ وبهذا تكون نسبة الولادات في روسيا قد هبطت إلى أدنى مستوى في العالم بينما ارتفعت نسبة الوفيات إلى مستوى تلك البلدان التي تعاني من ظروف الحرب».

«وتشير التقارير الرسمية إلى أنه دخل إلى روسيا خلال السنوات الثلاث الماضية مبلغ قدره ٨٥ مليار دولار لكن ما تبقى في حسابات عملاء البنوك التجارية الروسية يساوي ٣٢ مليار روبل فأين ذهبت المليارات ألـ ٨٥ من الدولارات» ❑

مع القرآن الكريم	﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فريضة الحج

قال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾. وقال تعالى: ﴿ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ وقال تعالى: ﴿وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍّ عميق ❁ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ صدق الله العظيم.

فرض الله الحج على المسلم المستطيع مرة في العمر، هي حجة الإسلام ﴿ومن تطوّع خيراً فهو خير له﴾ ﴿ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم❁﴾، والحج عبادة صرفة، وكل نسك من مناسكها يدل على أن الله تعبّد بها عباده، يستشعر معها المسلم عبوديته للخالق الجبّار. والحج فرض على التراخي في أصحّ الأقوال، فمن صار مستطيعاً ليس عليه أن يقوم بالفريضة في الحال، فإن تأخر فلا يعتبر آثماً، ولا يعتبر أداؤه الفريضة على التراخي قضاءً لفرض سبق أن وجب بحقه. والحج عبادة بدنية ومالية، على خلاف الزكاة التي هي عبادة مالية، وعلى خلاف الصلاة التي هي عبادة بدنية، ولهذا فإن في الحج تكاليف بدنية مثل الطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار، كما أن فيها تكاليف مالية كنفقات السفر والإقامة في الحجاز، وثمن الهدي وغيره.

والحاج يستجيب لنداء أبينا إبراهيم الذي أمره الله وولدَه إسماعيل أن يرفعا القواعد من البيت الحرام، أول بيت وضع للناس. قال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسماعيلُ﴾. وكان سيدنا إبراهيم قد أسكن ولده إسماعيل وأمه عند البيت الحرام، في بقعة لا ماء فيها ولا زرع، فسألته أم إسماعيل: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، وألحّت عليه في السؤال فلم يلتفت إليها، فسألته: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم؛ قالت: إذاً لا يضيّعنا، حتى إذا توارى عنهما توجه إلى البيت ودعا ربه: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون❁﴾ فقلوب المؤمنين في أنحاء المعمورة تهفو إلى البيت الحرام يعظّمونه ويبتهلون إلى الله أن يزيده شرفاً وتعظيماً، كما أن الخيرات التي يشاهدها الحاج في مكة المكرمة في موسم الحج لا تكاد تُصدق لكثرتها وتنوعها وتنوع مصادرها، فتجلب إلى مكة الطيبات والخيرات والثمرات بشكل كثير يفيض في الغالب على حاجة ضيوف الرحمن؛ كما أخرج الله الماء في موضع زمزم لإسماعيل وأمه، وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الملك الذي أخرج لها الماء قال لها: «لا تخافي الضَّيْعة فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإنّ الله لا يضيّع أهله.».

ولما فرغ إبراهيم عليه السلام، من بناء البيت أوحى إليه ربُّه أن أذّن في الناس بالحج، قال: يا ربّ، وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ الإبلاغ، فصعد خليل الرحمن جبل أبي قُبيس وصاح: يا أيها الناس، إنّ الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة، ويجيركم من عذاب النار، فحُجّوا، فأجابه من كان في أصلاب الرجال، وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك، قاله ابن عباس وابن جبير، وكان ذلك أصل التلبية.

وأشهر الحج هي: شوال، وذو القعدة، وعشرة أيام من ذي الحجة، وليس ذو الحجة كله إذ يقال عن بعض الشهر أنه الشهر، كما يقال عن بعض اليوم أنه اليوم، ويكره الإحرام بالحج قبل شهر شوال، ويكون إحراماً بالعمرة وليس إحراماً بالحج، ويجب تجديد الإحرام في أشهر الحج الثلاثة.

ويجب الحج على المسلم المستطيع رجلاً أو امرأة، أما الطفل فإن حجّ وهو صغير فلا تسقط عنه حجة الإسلام، ويجب عليه الحج إذا بلغ وكان مستطيعاً، وكذلك العبد يؤدي الفريضة إذا أصبح حراً مستطيعاً.

والاستطاعة تعني القدرة الجسدية على أداء الشعائر بنفسه أو وكالة، فمن استطاع الطواف والسعي بين الصفا والمروة بنفسه قام بها، ومن لم يستطع أن يقوم إلاّ محمولاً كان له ذلك، ومن استطاع النحر بنفسه، ذبح الهدي بيده، ومن لم يستطع وكّل من يقوم بالذبح عنه، ومن لم يقدر على رمي الجمار، وكّل عنه من يرمي الجمار جميعاً. أما الوقوف بعرفة، فهو مكلف به شخصياً ولا يستطيع أن ينيب عنه. ومن لم يستطع أن يصل إلى الديار الحجازية أو إلى الشعائر، وكان مستطيعاً من الناحية المالية، فإنه يستأجر من يحج عنه، شرط أن يكون المستأجر سبق أن حجَّ عن نفسه، فينوي عن الذي استأجره عند الإحرام.

كما تتضمن الاستطاعة القدرة المالية، أي أن يكون عنده الزاد والراحلة في الذهاب والإياب وان يخلّف لمن تجب عليه إعالتهم ما يكفيهم طيلة غيابه عنهم. كما تتضمن أن يكون مأذوناً له من والديه إن لم يكن هناك من يرعاهما سواه، وأن يأذن له صاحب الدين إن كان مديناً، وأن يأذن للزوجة زوجها، وإلاّ فلا يعتبر مستطيعاً.

وعبادة الحج فيها أركان وواجبات وسنن، فعدم القيام بركن يبطل الحج، فالرسول ﷺ يقول: «الحج عرفة» فمن لا يقف بعرفة لا حج له، لأن الوقوف بعرفة ركن من أركان الفريضة. وكذلك الإحرام ركن. أما الواجبات فإنها تُجبر بدم أو صدقة أو صيام، مثل المبيت بمنى ليلتي التشريق، ورمي الجمار، وأما سنن الحج فهي آدابه ومكملاته من مثل أن يصلي الظهر بمنى بعد طواف الإفاضة، ويستحب للحاج أن يغتسل قبل رمي الجمار في كل يوم.

ولا بد من التذكير أخيراً بما يجري من صدٍّ عن المسجد الحرام، والذي تمارسه حكومات المسلمين. قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يُرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذقه من عذاب أليم ﴾، فتحديد نسبة معينة للمسموح لهم بالحج من كل بلد وهي نسبة واحد بالألف، هذا صد عن سبيل الله، ففيه منع لمسلمين يريدون أن يؤدوا الفريضة الواجبة عليهم، وتحديد سن معيّن للمسموح له بأداء فريضة الحج أيضاً صَدٌّ عن المسجد الحرام، كما أنّ إلزام الناس بالسفر عن طريق الجو فقط دون السفر بالسيارات أيضاً فيه تضييق على الناس وحرمان للفقراء الذين لا يملكون أجرة السفر جواً من أن ينعموا بأداء شعائر الحج، كما أنّ فرض رسوم على الحجاج من مثل رسوم التأشيرة، والطواف والنقليات هو أخذ لمال الناس بدون وجه حق، وهو نوع من الصّد عن المسجد الحرام.

بقي أن نذكّر أن المسجد الحرام هو أول بيت وضع للناس وأن من دخله كان آمناً، ويجب أن يشعر الحجاج بالأمن والأمان داخل الحرم الآمن، ومكة كلها حرم، ولكن ما يجري من تفتيش للرجال والنساء على أبواب المسجد الحرام، منذ أحداث الحرم المعروفة عام ١٩٧٩، ثم مراقبة الناس داخل المسجد الحرام، ومنع المسلمين من التداول في شؤونهم، أو منع القادرين على مخاطبة إخوانهم المسلمين في شؤون حجهم ودينهم، وما يهمهم، كل ذلك ظلم للمسلمين، وترويع لهم داخل الحرم الآمن قال تعالى عن المسجد الحرام: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾، ولهذا فإننا نهيب بإخواننا المسلمين أن يرفضوا هذه الإجراءات، وأن يضغطوا على حكوماتهم لعدم تنفيذها، ولرفع كل القيود والرسوم عن هذه الفريضة العبادية الربّـانية ❑

نالَ الله تعالى: ﴿ إنّما المؤمنون إخوَة ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « المسلمُ أخو المسلمِ لايظلمُهُ ولا يخْذُلُهُ ولا يَحقرُهُ ».

ديميريل يمدح العثمانيين

نشرت صحيفة الشرق الأوسط في ٩٩/٢/٢٤ أن ديميريل أكد للصحفيين في طائرته الخاصة، في طريق عودته من زيارته الرسمية للجزائر في ١/٢٦، إعجابه بالآثار المعمارية التي تركها العثمانيون في تلك الديار. وأضاف: «لاحظوا عظمة الدولة العثمانية وسعيها لوقف المد الكاثوليكي الممتد من فيينا إلى الجزائر ومن هناك إلى الهند وأندونيسيا بعد إقامتها لإمبراطوريتها الواسعة على قارات العالم القديم: آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، عندما استطاعوا نشر الإسلام في تلك الديار على ظهور الخيل أو بضرب المجاديف في البحار لمسافة ٢٥٠٠ كلم من العاصمة إسطنبول، لحكم هذه البلاد طيلة ٣٠٠عام، ولترك هذه الآثار الحضارية الشاخصة إلى الآن. إن الدولة العثمانية لم تكن دولة استعمارية وإنما قامت بحماية دار الإسلام ضد الهجمة الكاثوليكية طيلة تلك الفترة، ولذلك فإننا سنحتفل اعتباراً من غدٍ (١/٢٧) بالذكرى الـ ٧٠٠ لميلاد هذه الدولة الكبرى التي نعد جمهوريتنا امتداداً لتراثها الحضاري الذي لا يعد عائقاً لتطورنا في العهد الجمهوري، بل إنه على عكس ذلك، يمثل ثراءً ثقافياً لأجيالنا، فكلما عرفنا الدولة العثمانية على حقيقتها، أدركنا قيمة وأهمية هذه الجمهورية الفتية.».

وبالفعل في ١/٢٧ أعلن وزير الثقافة التركي عن بدء الاحتفالات بالذكرى الـ ٧٠٠ لتأسيس الدولة العثمانية لمدة شهر في تركيا ولمدة عام في العالم الإسلامي، وكافة أنحاء العالم، من خلال برنامج ثقافي وفني كبير ❑

التعاون السوري العراقي

نشرت صحيفة التايمز اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ٣/٨ أن العلاقات السياسية والاقتصادية بين سوريا والعراق تحسنت كثيراً في الأشهر الأخيرة، وأن هناك اتفاقاً بين المخابرات السورية والعراقية على إرسال ما قيمته ٦٠ مليون جنيه استرليني من المعدات العسكرية إلى العراق. جدير بالذكر أن نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام تسلم الملف العراقي، ما يشعر بأهمية العراق بالنسبة إلى سوريا، وانعكاس الوضع العراقي على سوريا ❑

سياسة تفتيت المنطقة

أعلن الرئيس الأندونيسي يوسف حبيبي، أنه يعرض على أهل تيمور الشرقية العيش مع الأندونيسيين على قدم المساواة، وإن لم يقبلوا بهذا المشروع فإنه يقول لهم بكل بساطة «وداعاً». كما أن هناك اشتباكات دائمية بين المسلمين والنصارى في جزيرة أمبون، ويجري إحراق مساجد المسلمين وقتل المسلمين وهم يخرجون من المساجد.

وقد أعلن الرئيس السوداني عمر البشير أنه إذا كان البديل لانفصال جنوب السودان هو استمرار الحرب، فمرحباً بالانفصال.

وهناك محاولات لتقسيم العراق، وتحريك للأكراد في تركيا بشكل خاص، ومحاولة ضرب وحدة اليمن، وإيجاد دولة الصحراء الغربية، والتركيز على موضوع اللغة في الجزائر في محاولة لإشعال فتنة قومية هناك. كل ذلك يجري على مرأى ومسمع من المسلمين، فهل من وقفة مخلصة جادة تردع المتآمرين، وتعيد توحيد بلاد المسلمين في دولة واحدة!! ❑

الإخوان المسلمون ينعون حسيناً

أصدر مصطفى مشهور، المرشد العام للإخوان المسلمين، بتاريخ ٢/٨ البيان الآتي: «ينعي الإخوان المسلمون ببالغ الأسى والحزن ـ الملك حسين ـ ملك الأردن الشقيق وواحد من أقدم وأعرق وأكثر حكام الأمة خبرة، الذين واجهوا على مدار حكمهم العديد من الحروب والعواصف والأزمات فقاد بلاده بإيمان وشجاعة وتمكن من اجتيازها بحكمته وخبرته. ويسألون الله العلي القدير أن يشمله برحماته وأن يجزيه الخير على ما

قدّم لأمته من خدمات جليلة وعناية فائقة وما شمل به دعوة الإسلام من رعاية وتقدير. وأن يشمل سبحانه الملك عبد الله بعنايته، ويوفقه لما فيه خير الشعب الأردني الشقيق والأمة العربية والإسلامية وأن يحفظ الأردن - الشعب الشقيق والأرض والديار - من كل سوء ...» وصرّح مصدر مسؤول بالجماعة بأن المرشد العام كان يعتزم السفر إلى الأردن لتقديم العزاء، إلاّ أنه لم يتمكن بسبب منع السلطات المصرية سفره إلى خارج مصر، ولذلك فقد أناب عنه الدكتور حسن هويدي - نائب المرشد العام خارج مصر - في تقديم واجب العزاء، الذي أرسل برقية تعزية إلى الملك عبد الله في ٢/٩، تضمنت إشادة بمزايا الملك حسين من: الخبرة والحكمة، وحسن قيادة الأمة، والرحمة والتسامح بأبنائها، والصبر في ساعة العسر، والثبات في المأزق والملمات وقدرة على اجتياز الصعاب. وقد زار مصطفى مشهور على رأس وفد من قيادة الإخوان في مصر، مقر السفارة الأردنية بالقاهرة حيث قدّموا واجب العزاء. كما أن إخوان سوريا قدّموا التعازي للملك عبد الله بوفاة والده، ونقل المحامي علي صدر الدين البيانوني المراقب العام لإخوان سوريا تعازي جماعته إلى الأسرة الهاشمية المالكة ❑

الأردن يفتري على حزب التحرير

نشرت جريدة «الأردن» الأسبوعية بتاريخ ٢/٢٤ تحت عنوان: «حزب التحرير يلتمس العفو» ما يلي: (عدد من قيادات حزب التحرير كانوا في مقدمة من توجهوا إلى الديوان الملكي لتقديم التهاني، وقدّم أحدهم مذكرة إلى جلالة الملك عبد الله يلتمس بها إصدار عفو عن المهندس عطا أبو الرشتة وعشرين آخرين من حزب التحرير تم اعتقالهم ومحاكمتهم، كما تنصّل حزب التحرير من الورقة التي صدرت تحمل اسمه حول التغييرات الأخيرة في الأردن، وقال: «إن هذا المنشور مدسوس على حزب التحرير».). ولدى سؤال الناشر عن مصدر الخبر قال: «إن الخبر أتاني من فوق.».

والأردن بكل أبنائه، والمسلمون في كل مكان يعلمون بشكل أكيد أن حزب التحرير لا يعترف بمشروعية جميع الحكام في بلاد المسلمين، وهو يعمل لتغييرهم جميعاً، وبالتالي يستحيل أن يهنئ أحداً منهم، ولا أن يعزي بوفاة أحدهم.

وفي تطور آخر، قامت أجهزة الأمن الأردنية باعتقال عدد من شباب حزب التحرير، ومداهمة بيوت آخرين، أثر توزيع الحزب منشوراً بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لإلغاء دولة الخلافة في ٣/٣ ❑

كول يهاجم سياسة اميركا الاقتصادية

نشرت جريدة الشرق الأوسط تصريحاً للمستشار الألماني السابق كول قال فيه: «فلتكف أميركا عن العبث السياسي، والتلاعب باقتصاديات العالم، وندعوها إلى اتخاذ مسار صحيح يجنّب العالم الوقوع في الكارثة الاقتصادية المتوقعة، التي بدأت معالمها بالاختناق المالي في أوروبا، وقلة الإنتاج في اليابان، وانخفاض أسعار البترول في السوق العالمي، والانهيار الاقتصادي في آسيا، والفساد السياسي في روسيا، والتراجع التجاري في الصين، والقتل الجماعي في أفريقيا، والحرب الأهلية في البلقان .... نحن بحاجة إلى عربة إسعاف دولية لإنقاذ الجرحى في العالم من عدوانية الاقتصاد الأميركي، وفي حاجة أكثر إلى أسلحة اقتصادية تمنع تكرار هذا العدوان الاقتصادي علينا مرة أخرى.».

الوعي: لعلّ هذا التصريح يفسّر، إلى جانب عوامل أخرى، سقوط كول وحزبه الديموقراطي المسيحي في الانتخابات الأخيرة في ألمانيا❑

أونسكوم أداة للمخابرات المركزية

كشف المفتش الأميركي السابق ريتر، والذي استقال من أونسكوم في آب (أغسطس) ١٩٩٨، أن وكالة المخابرات المركزية تمكنت منذ العام ١٩٩٢ من زرع جواسيس أميركيين بين مفتشي الأسلحة التابعين للأمم

المتحدة في العراق. ونقلت صحيفة «نيويورك تايمز» عن ريتر قوله في كتاب له سيصدر في نيسان (أبريل) القادم، أنه مع مسؤول كبير في المخابرات المركزية (اسمِه الحركي دوبس) تعاونا لتخطيط الدعم اللوجستي والاستخباري لأكبر عمليات التفتيش وأكثرها تعقيداً التي نفذتها أونسكوم في العراق. وقد استطاعت المخابرات المركزية أن تزرع أجهزة تجسس متطورة ضمن عمليات الأونسكوم، وإنها بذلك استطاعت التنصت على أجهزة الاتصال العراقية، ومراقبة تحركات المسؤولين العراقيين. وأشار ريتر إلى أن وكالة المخابرات المركزية وضعت تسعة عملاء سريين ضمن فريق كُلّف تفتيش مجمع مبان تابع للحرس الجمهوري ❑

تصريحات الحص

أجرى مراسل هيئة الإذاعة البريطانية، ريتشارد دونز، مقابلة مع رئيس الوزراء اللبناني الدكتور سليم الحص، وجرى بثها صباح ٣/٦، وهي عبارة عن مقدمة من مقدّم النشرة، وإلى تقرير من المراسل وإلى مقابلة مع الحص ثم استنتاج من دونز. ففي المقدمة أن هناك مراقبين مخضرمين من الأمم المتحدة يعتقدون أن حزب الله سيتوقف عن شن هجمات عبر الحدود ضد اليهود إذا ما انسحبوا من الأراضي اللبنانية المحتلة فكان جواب الحص: «ستكون النتيجة الطبيعية إحياء لاتفاق الهدنة مع إسرائيل الذي وُقع عام ١٩٤٩. ووفقاً لاتفاق الهدنة لا يمكن أن يكون هناك عمل، عمل عسكري، عبر الحدود.» وقد أعلن وزير الإعلام اللبناني أن الحص لم يقل هذا الكلام، إلاّ أن إسرائيل استغلت الفرصة، وبعث نتنياهو أحد مستشاريه إلى باريس ليرسل رسالة إلى سوريا ولبنان عبر فرنسا مفادها إنّ «إسرائيل معنية بالخروج من لبنان شرط أن ينشر الجيش اللبناني قواته على الحدود الشمالية»، وحقيقة الأمر إن إسرائيل غير مسموح لها بالخروج من الجنوب إلاّ بعد التعهد بالانسحاب من الجولان، فهي في حالة استنزاف دائم في الجنوب حتى تخضع لمتطلبات السلام مع سوريا وهي الانسحاب الكامل من الجولان المحتل ❑

جولة كوهين

قام وزير الدفاع الأميركي بجولة على دول المنطقة شملت دول مجلس التعاون الخليجي، والأردن ومصر ودولة يهود، في عملية تجارية لبيع أسلحة أميركية أهمها صواريخ جو ـ جو لبعضٍ دول الخليج، وصواريخ باتريوت ودبابات وطائرات ف ـ ١٦ لمصر، كما أنه أخذ موافقة دول الخليج جميعاً على السياسة الأميركية المتمثلة بالاعتداءات شبه اليومية على العراق، برغم التصريحات العلنية من بعض دول الخليج (الإمارات وقطر) بمعارضتها الاعتداءات الأميركية المتكررة على العراق، ورفضها تغيير النظام العراقي بالتآمر الخارجي، ورفض تقسيم العراق.

وقبل أن يصل كوهين إلى كيان العدو المحتل، وصلت طائرات أميركية للمشاركة في تدريبات مشتركة مع طائرات العدو، وهذا يحصل لأول مرة، إذ كانت التدريبات المشتركة تقتصر على الأسلحة الأرضية خوف انكشاف أسرار العدو لأصدقائهم الأميركان ❑

البطيخي والمخابرات الأميركية

أجرت مجلة «المجلة» في عددها الصادر في ٩٩/٢/٢١ مقابلة مع ديفيد وارمسار، خبير الشرق الأوسط في معهد «أميركان إنتربرايز» في واشنطن، وقد سئل: هل هناك صلة بين البطيخي (مدير المخابرات الأردنية) ووكالة المخابرات المركزية الأميركية؟ فأجاب: «لا بد أن تكون هناك اتصالات بين الجانبين بحكم أنه مدير للمخابرات الأردنية، كما أن هناك تقارير بأن البطيخي كان وراء محاولة الانقلاب العسكري الفاشل ضد صدام حسين قبل ثلاث سنوات والذي خططت له وكالة المخابرات المركزية، ووراء احتضان صهر صدام حسين، حسين كامل.

وذكر أن البطيخي زار الملك حسين في مايو كلينيك أكثر من ثمانين مرة خلال ستة أشهر. وأنه حضر آخرِ اجتماع بين كلينتون وحسين وزوجته، والذي جرى فيه بحث مسألة تغيير ولي العهد وتعيين ابنه البكر خلفاً للأمير حسن ❑

تحدٍّ لمرجعية الحكيم

تعرض محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق إلى تصرفات غير لائقة عندما دخل إلى حفل تأبين المرحوم محمد صادق الصدر الذي اغتيل في العراق، وكان مجلس العزاء أقامه السيد الخامنئي، وقد تم اعتقال المئات من حزب الدعوة المناوئين للحكيم. وجاء في بيان حمل اسم «جمع من طلبة الحوزة العلمية وشباب الانتفاضة ومجاهدي «فيلق بدر» تعريض بباقر الحكيم، واتهام له باغتيال المرحوم الصدر، ومطالبة الحكيم ومجلسه «غير الموقر» أن يقدموا استقالتهم بشرف وشهامة «وأن يكفوا عن مواصلة استحمارهم الأمة وإرهابها ومحاصرتها وفرض وصايتهم عليها.» وفهم أن عدداً من مقاتلي فيلق بدر أعلنوا السيد كاظم الحائري مرجعاً للتقليد، وإن كانت المرجعية السياسية لا تزال للحكيم، وإن واجهها تحد جديّ بمطالبة الحكيم ومجلسه بالاستقالة. جدير بالذكر أن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية كان من بين التنظيمات العراقية المعارضة التي اختارتها الحكومة الأميركية لتلقي المساعدات والدعم بموجب ما يسمى «قانون تحرير العراق» ❑

القوميون السوريون في سوريا

هناك مؤشرات متعددة توحي بأن الحزب القومي السوري في طريقه إلى رفع الحظر عنه في سوريا، تمهيداً لإدخاله في الجبهة الوطنية التقدمية، وربما إدخال حركة إسلامية (قد يجري إيجادها) أيضاً في الجبهة على قاعدة التوازن. والمعروف أن الحزب القومي السوري محظور في سوريا منذ اتهامه باغتيال العقيد عدنان المالكي عام ١٩٥٤، ولهذا لا بدّ من تبرئته من دم المالكي أولاً. ومن هذه المؤشرات السماح بترشيح رئيس المكتب السياسي للحزب باصيل دحدوح لانتخابات مجلس الشعب عام ١٩٩٠، وفوزه بمقعد في المجلس في الدورات ٩٠، ٩٤، ٩٨، واعتبار الجهات الرسمية دحدوح كـ«ممثل رسمي للحزب» بعد أن كانت تعتبره مرشحاً مستقلاً. وقد سمحت السلطات السورية بتوزيع دوريات الحزب: البناء، وصباح الخير (سابقاً) وفكر. وهناك نشاط ملحوظ لعناصر الحزب وقياداته، ولقاءات معلنة مع الرسميين والحزبيين السوريين، ويرى أعضاؤه ومناصروه أن الأجواء بالنسبة إليهم ممتازة، ولم يبق إلا الترخيص الرسمي بفتح المكاتب. وفي كلمة للرئيس الأسد، بعد أدائه اليمين الدستورية لولاية خامسة، دعوة إلى «توسيع دائرة القرار» لتحقيق «المسار الديمقراطي» ❑

غزوة أُحُد

فرغ رسول الله ﷺ من غزوة بدر في شوال، فأقام بالمدينة سبع ليال، ثم غزا بنفسه يريد بني سُليم، فبلغ ماءً من مياههم، فأقام عليه ثلاث ليال، ولم يلق كيداً ثم رجع إلى المدينة وأقام فيها بقية شوال وذي القعدة. ثم ما كان من خبر أبي سفيان، أنه غزا في جماعة معه ناحية من المدينة، وأقام فيها فقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له، وحرقوا النخيل، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم، ولكن أبا سفيان تخفف من أزواد القوم طلباً للنجاة، فطرحوا ما معهم من السويق وفروا هاربين، ففاتوا رسول الله ﷺ، وسميت هذه الغزوة غزوة السَّويق. ثم غزا رسول الله ﷺ نجداً يريد غطفان، فأقام بنجد شهر صفر، ورجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. ثم غزا رسول الله ﷺ قريشاً، حتى بلغ بحران، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ولم يلق كيداً. ثم ما كان من نقض يهود بني قينقاع العهد، باعتدائهم على إحدى المسلمات فانكشفت عورتها، فاستغاثت بالمسلمين، فلبّى النداء أحد المسلمين من ذوي النخوة، فوثب على أحد اليهود فقتله، فاجتمع على المسلم جمع من اليهود فقتلوه، فحاصرهم رسول الله خمس عشرة ليلة، فقام دونهم عبد الله بن أبي بن سلول، حتى وهبهم له. ثم إنّ قريشاً حاولت أن تجد لها طريقاً إلى الشام عبر العراق، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقيهم على ماء بنجد فأصاب منهم العير، وما فيها، وأفلت الرجال. ثم كانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث.

كانت غزوة أحد ردّة فعل قرشية على النصر الذي أنعم الله به على رسوله الكريم وصحابته في بدر، حيث قتل من المشركين سبعون، منهم صناديد قريش، فتداعى بعض المفجوعين بآبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم، وكلموا أبا سفيان، ومن كانت له في تلك العير تجارة، طالبين منهم إعانتهم بمال التجارة الذي نجا من الغنيمة بيد المسلمين، علّهم يثأرون من محمد وصحبه. وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ۞﴾ فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ، وخرجت بحدّها وجدها وحديدها وأحابيشها، ومن تابعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، وخرجت معهم النساء في الهوادج، فأقبلوا حتى نزلوا بجبل مقابل المدينة المنورة. فاستشار الرسول الكريم المسلمين في الخروج للاقاة المشركين، أو البقاء في المدينة، فقال لهم ﷺ: «فإن أردتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها.» وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة، فقال رجال من المسلمين ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنّا جبُنّا عنهم وضعفنا. وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍ لنا قط إلاّ أصاب منا. فلم يزل الناس برسول الله حتى دخل بيته، فلبس لأمته، وقد ندم الناس على إصرارهم على الخروج، وقالوا: استكرهْنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد، صلى الله عليك؛ فقال الرسول ﷺ: «ما ينبغي لنبي إذا

لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل».

فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه حتى نزل بأحد، ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة، فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة. ولما انخزل عبد الله بن أبي في ثلث الجيش قال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوّهم. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ولِيعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتَّبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان﴾. وقد استأذن الأنصار رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال لا حاجة لنا فيهم. ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشِّعب من أحد، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: «لا يقاتلنَّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال»، وأمَّر على الرماة عبد الله بن جبير، والرماة خمسون رجلاً فقال: «أنضح الخيل علينا بالنَّبْل، لا يأتون من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا. فاثبت مكانك لا نُؤتينّ من قبلك» ولبس الرسول درعاً فوق درع، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير. ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة. أما المشركون فكانوا ثلاثة آلاف رجل، وكان معهم مائتا فرس. وجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل، وكان اللواء مع عثمان بن طلحة.

قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقّه؟» فقام إليه أبو دجانة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال ﷺ: أن تضرب به العدو حتى ينحني، فأخذه أبو دجانة، واعتصب عصابة حمراء، وجعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمشية يبغضها رسول الله إلاّ في هذا الموطن.»، فجعل أبو دجانة لا يلقى رجلاً إلاّ قتله، وكان في المشركين رجل يجهز على جرحى المسلمين، فالتقاه أبو دجانة، فضربه أبو دجانة فقتله. وقاتل المسلمون قتالاً شرساً، ثم أنزل الله نصره على رسوله وعلى المسلمين، وصدقهم وعده، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم، وكانت الهزيمة لا شك فيها، إلا أن الرماة المسلمين خالفوا أوامر رسول الله، فترك معظمهم الجبل ونزلوا إلى الساح طلباً للغنائم، فانكشف المسلمون، ومال خالد بن الوليد في خيله على الجبل، وأمطروا المسلمين بالنبل وبالسهام، وأصيب رسول الله ﷺ في رباعيته، وشُجّ في رأسه، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل، وجعل الرسول ﷺ يمسح الدم عن وجهه ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى الله» فأنزل الله: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنهم ظالمون﴾ وتفرق المسلمون عن رسول الله، ودخل بعضهم المدينة، وجعل الرسول ﷺ يدعو الناس: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً، وقاتل من دونه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، حتى إن رسول الله ﷺ ليقول: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع.» (أي وجبت له الجنة). وقد صوّر القرآن الكريم حال المسلمين أصدق تصوير في قوله تعالى: ﴿ولقد صدقكم اللهُ وعدَه إذ تحسّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ ذلك أن المسلمين قتلوا صاحب لواء المشركين، وسبعة آخرين بعده على اللواء، وكان الظفر ابتداءً للمسلمين غير أنهم اشتغلوا بالغنيمة، وترك بعض الرماة مركزهم طلباً للغنيمة، قالوا: والله ما نجلس ههنا لشيء، قد أهلك الله العدو، وإخواننا في عسكر المشركين، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم النبي ﷺ ألاّ يتركوها، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول، فأوجفت الخيل فيهم قتلاً، فقُتل من المسلمين سبعون رجلاً. روى البخاري عن البراء بن عازب قال: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف علينا وهو في نَشَز فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تجيبوه» حتى قالها ثلاثاً، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: لا «تجيبوه»، ثم قال: أفي القوم عمر؟ ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: «لا تجيبوه»، ثم التفت (أبو سفيان) إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا. فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه دون أن قال: كذبت يا عدوّ الله! قد أبقى اللهُ لك من يُخزيك به. فقال: أعْلُ

هُبل ـ مرتين، فقال النبي ﷺ: «أجيبوه»، فقالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا الله أعلى وأجلّ»، قال أبو سفيان: لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه»، قالوا : ما نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، أما إنكم ستجدون في القوم مُثلة لم آمر بها ولم تسؤني.

وكان ممن قُتل من المسلمين يوم أحد؛ حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وسيد الشهداء، قتله وحشيٌّ، وهو غلام لجُبير بن مطعم؛ ومصعب بن عمير حامل لواء المسلمين؛ وحنظلة غسيل الملائكة وقصته مشهورة. وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً. قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد. ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب في أثار القوم ينظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا امتطوا الإبل وساقوا الخيل فهم يقصدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، فوجدهم عليّ قد امتطوا الإبل، ووجهتهم مكة.

فلما كان الغد، أذّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، على أن لا يخرج أحد إلا من حضر أحداً، فخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، يريد إرهاب المشركين، فمرّ به معبد الخزاعي وهو مشرك، فواسى رسول الله ﷺ في شهداء أحد، ثم سار حتى لقي أبا سفيان ومن معه، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه لاستئصالهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً سأله عما وراءه، قال معبد: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرّقاً، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا. فيهم من الحَنَق عليكم شيء لم أرَ مثله قط، فتراجع أبو سفيان ومن معه عن التفكير بالرجعة، وحمّل ركباً رسالة إلى رسول الله ﷺ فيها أن أبا سفيان أجمع السير إليه وإلى أصحابه ليستأصلهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه رسالة أبي سفيان، فقال ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل. وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقَوْا أجرٌ عظيم ۞ الذين قال لهم الناسُ إنّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشَوْهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۞﴾.

قال ابن إسحق: كان يومُ أحد يومَ بلاء ومصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومَحَنَ به المنافقين، ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مستخف بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته. ﴿وليبتليَ اللهُ ما في صدوركم وليمحّصَ ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ ﴿وليعلمَ اللهُ الذين آمنوا ويتخذَ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ۞ وليمحص اللهُ الذين آمنوا ويمحقَ الكافرين ۞﴾ ❑

الوضع السياسي في تركيا والمنطقة

كما ذكرنا في تحاليلنا السياسية السابقة فإن السياسة الداخلية والخارجية للدول النامية محكومةٌ ومتأثرة بسياسة الدول المتقدمة أو بعبارة أدق الدول الاستعمارية. ولذلك فإن الوضع السياسي في تركيا لا يخرج عن هذه القاعدة. وسنحاول في هذه المقالة تحليل الأوضاع والتطورات السياسية ضمن محورين:

١. التطورات على الساحة الخارجية ٢. التطورات على الساحة الداخلية.

١ــ الساحة الخارجية: التطورات التي حصلت على مستوى السياسة الخارجية يمكن تلخيصها في ثلاثة محاور: أ) الضربات العسكرية الأميركية للعراق ب) عمليات القتل الوحشية والجماعية التي نفَّذها الصرب في منطقة كوسوفا ج) وأزمة عبد الله أوجلان. وكما أن هذه التطورات المهمة تعني الأمة الإسلامية فإنها تعني تركيا أكثر وبشكل مباشر، ولهذا السبب فإن تجاهل عنصر «تركيا» ودورها في هذه التطورات أمرٌ غير صائب.

أ ـ الضربات الأميركية للعراق: تعتبر منطقة الشرق الأوسط إحدى المناطق الحيوية والمهمة للمصالح الأميركية، وتكمن أهمية هذه المنطقة في وجود النفط. وأهمية النفط لا تقتصر على اعتباره مصدراً اقتصادياً فحسب بل يعتبر من أقوى العناصر الفعالة كأداة ضغط سياسية. وتعتبر الدول الأوروبية واليابان، التي تسدُّ احتياجاتها النفطية من الخارج، المنافس القويَّ الذي يزعزع الهيمنة الأميركية خصوصاً على الصعيد التجاري، كما أن أوروبا ـ خصوصاً إنجلترا وفرنسا ـ تزاحم النفوذ الأميركي على الصعيد السياسي. ويعني إحكام السيطرة على النفط والانفراد به إمكانية استخدام ورقة النفط كأداة ضغط سياسية مؤثرة ضد الدول. ولذلك فإن أميركا تسعى إلى طرد النفوذ الإنجليزي من المنطقة ـ خصوصاً العراق ودول الخليج وتركيا ـ وإحكام سيطرتها هي، ويعتبر هذا الهدف أمراً حيوياً ومهماً جداً من وجهة النظر الأميركية. وحسب النظرية الكارترية ـ نسبة إلى جيمي كارتر ـ فإن خليج البصرة ـ أو ما يسمى بالخليج العربي ـ يتمتع بموقع استراتيجي وله أهمية بالغة جداً ويشكل حبل الوريد للمصالح الأميركية، وكذلك فإن أميركا ترغب في تدشين عام ألفين كقوة عظمى عالمية منفردة لا منافس لها. كما أنها لتحقيق هذا الهدف لا تستبعد من حساباتها الحرب، وهذا هو السبب والمبرر الوحيد للضربات الأميركية على العراق. ويُعتقد بأن أميركا وضعت خططاً جديدة لتحقيق هذا الهدف وقد باشرت بتنفيذها منذ مطلع العام الجاري. ولكي تنجح الإدارة الأميركية في تحقيق أهدافها الاستراتيجية وتدشين العام 2000 كدولة عظمى دون منافس، عليها أن تكسب الرأي العام الأميركي إلى جانبها. لقد نجح كلينتون وإدارته في استغلال ما يسمى «فضيحة لوينسكي» وتحويلها لصالحهم. كما أن كلينتون نال رضى الشعب

الأميركي عن أدائه وعزَّز موقفه عندما ألقى خطاباً أمام الكونغرس حيث أثبت بالأرقام القضاء على العجز في الميزانية الأميركية وانخفاض نسبة البطالة وزيادة نسبة العاملين بالإضافة إلى خروج أميركا سالمة دونما ضرر اقتصادي يذكر جراء الهزات الاقتصادية التي تعصف بالعالم.

أنه من الخطأ أن يُعتقد أنَّ الهدف من كل ذلك هو إعادة الديموقراطيين إلى البيت الأبيض أو تبرئة ساحة كلينتون من الفضائح الجنسية فالمواطن الأميركي لا يعتبر العلاقات الجنسية غير المشروعة أمراً مشيناً. بل الهدف الأساسي هو كسب تأييد الرأي العام الأميركي كي يتسنى لكلينتون وإدارته تنفيذ السياسة الخارجية الجديدة لعام ١٩٩٩ التي تمكنهم من فتح باب القرن الحادي والعشرين بمفتاح الدولة العظمى الوحيدة بلا منازع. وقد لاحظنا بعض الإشارات المهمة الدالة على ذلك منذ مطلع هذا العام. أما عن المخطط والمشروع الأميركي الجديد فإنه يعني تركيا والعراق في آن واحد.

ففيما يتعلق بتركيا فإن جذور هذا المخطط تمتد إلى زمن طويل حيث بدأ بالأزمة العسكرية التركية ـ السورية. فبعد متابعة التطورات السياسية في المنطقة اتخذ الثنائي التركي ـ الإسرائيلي قراراً ترغم بموجبه السلطات السورية على إبعاد عبد الله أوجلان من أراضيها. وكان أول من نفذ هذا القرار على أرض الواقع سليمان ديميريل وقائد القوات البرية اتيلاّ آتش من خلال التصريحات الهجومية ضد سوريا. ولا شك أن لكل من إسرائيل وتركيا أهدافاً مشتركة من هذه الأحداث: فإسرائيل تريد الضغط على سوريا لإخضاعها لشروطها للسلام دون الانسحاب من هضبة الجولان ذات الموقع الاستراتيجي وذلك من خلال إقحام تركيا في حرب شاملة مع سوريا. وأما تركيا فإنها كانت تهدف إلى التخلص من أزمة حزب العمال الكردستاني. وبالرغم من كل التصريحات الأميركية التي تَنُمُّ عن الدعم الأميركي لتركيا بوصفها حزب العمال الكردستاني أنه حركة إرهابية متمردة ويجب طردها من سوريا، إلاّ أن هذا الدعم كان دعماً ظاهرياً، ففي تشرين الأول من العام ١٩٩٨ أبعدت السلطات السورية عبد الله أوجلان من أراضيها بموجب الأوامر الأميركية التي تلقَّتها آنذاك، وبعد أن اضطر عبد الله أوجلان الذهاب إلى روسيا توجَّه إلى إيطاليا. أن النوايا الأميركية الحقيقية وإن تظاهرت في دعم الموقف التركي من مسألة أوجلان فإنها لا تَنمُّ عن الرغبة في معاقبته، كما أن أميركا ليست ضد حزبه والدليل على ذلك التصريحات المتكررة للمارشال التركي المتقاعد (كمال يافوز) الصريحة والواضحة حيث كرر اتهام أميركا بدعمها لهذا الحزب. ويمكن تفسير الدعم الإعلامي ـ المصطنع ـ الأميركي للموقف التركي باعتباره جزءاً من سياسة الترغيب لتحقيق بعض المكاسب، ففي خلال إقامة أوجلان في إيطاليا اتبعت أميركا حيال تركيا سياسة الترغيب والترهيب أو ما يسمى في المصطلح السياسي (سياسة العصا والجزرة). فقد تعهد كلينتون لوفد تركي زائر باستخدام نفوذه لدى صندوق النقد الدولي لمنح تركيا قرضاً مقداره بليونا دولار. إلاّ أن تركيا لم تستجب للمقترحات الأميركية وأخذت تراوغ وتماطل لتكسب الوقت لصالحها، كما أنها لم تهمل في الوقت نفسه سياسة المغازلة تحاشياً للغضب الأميركي. وعمدتْ الإرادة السياسية في تركيا إلى إسقاط الحكومة

الائتلافية المتشكلة من أحزاب الوطن الأم واليسار والديمقراطيين بحجة ما يسمى فضائح المكالمات السرية، والغرض من ذلك كله هو تغييب الحكومة الرسمية لكي يمكن تحاشي كل الضغوط أو المقترحات الخارجية المحرجة. ويُفهم ذلك من تكليف رئيس الجمهورية سليمان ديميريل زعيم حزب اليسار الديمقراطي بُلَنْتْ أجويد تشكيل حكومة جديدة حيث تعمَّد الأخير اعتماد سياسة البطء والماطلة لكسب الوقت وقدَّم اقتراحات تعجيزية لكافة زعماء الأحزاب الأخرى.

في هذا الوقت أدركت أميركا مغزى السياسة التركية فبدأت على الفور بقصف شمال العراق جواً من قاعدة إنجيرليك التركية لإحراج تركيا التي أصبحت طرفاً في الحرب على غير إرادتها. من جهة أخرى وفي الساعة التي كان فيها مجلس الأمن القومي التركي يُحضِّر لاجتماع يضم كبار الضباط دقَّت صافرات الإنذار في الساعة ١,١٥ بعد ظهر يوم ١٩٩٩/١/٢٨ في قاعدة إنجيرليك العسكرية بحجة أنه سُمِعَ دَوِيُّ انفجارات شديدة في مواقع عسكرية بالقرب من مدينة الموصل العراقية، فكانت صافرات الإنذار هذه تحمل مغزىً سياسياً أكثر مما هو عسكري، وسبق هذا التهديد الأميركي ـ غير المباشر ـ عملية تسفير عبد الله أوجلان من إيطاليا إلى جهة مجهولة في ١٩٩٩/١/١٦.

وفي ٤/شباط/١٩٩٩ هدد كل من كلينتون ومادلين أولبرايت تركيا بإقحامها في الحرب حتى ولو لم تشأ حيث صرح الأول قائلاً: (تُعتبر منطقة كوسوفا عنصر تهديد جدي لحلفائنا في الأطلسي وقد تشكل عنصر نزاع يوقِعُ بين تركيا واليونان. تساورني مخاوف انفجار الوضع في البوسنة ـ الهرسك التي عملنا على تأسيس السلام فيها لمدة ثلاثة أعوام.) أما وزيرة الخارجية الأميركية فقد صرحت قائلةً: (إذا استمر الحال على ما هو عليه الآن فإن تكرر حركة الهجرة الجماعية أمرٌ لا مناص منه، الأمر الذي يجعل من هذا الوضع مرتعاً خصباً وملجأً آمناً للإرهابيين وتجار المخدرات.)وإذا دققنا النظر في كلا التصريحين نجد أن في الأول تهديداً موجهاً إلى أوروبا والثاني إلى تركيا.

وأما عن المخطط الأميركي الذي يتعلق بالعراق فالمتتبع للتطورات يجد أن أميركا مُصِرةً على إسقاط صدام من دفَّةِ الحكم في العراق ولكن ليس قبل أن تحكم سيطرتها على دول الخليج. أما فكرة تقسيم العراق فإن تركيا تعارضها جملةً وتفصيلاً، فإقامة دولة كردية في شمال العراق يعني تمزيق تركيا أيضاً وتقسيمها. وأما إيجاد البديل لصدام فأمرٌ ليس سهلاً حتى على الأميركان، ولكن الأمر المفروغ منه هو إن أميركا مُصرَّة وجادةٌ في تغيير صدام مهما كلَّفها ذلك. فكما أن هذا الأمر بالنسبة لأميركا يعتبر هاماً، إلا أنه ضروريٌ لها كي تدخل العام 2000كدولة عظمى بلا منازع، وبلا مشاكسين أو كما تسميهم «متمردين» على المجتمع الدولي. ولتحقيق هدفها هذا لا تتورع عن تحويل منطقة الشرق الأوسط إلى بحارٍ من الدم. فدخول العراق تحت النفوذ الأميركي سيطيح بالنفوذ الإنجليزي في المنطقة كما أطاحت ثورة يوليو الوجود الإنجليزي في مصر وهذا لا يعني بالضرورة أن الإنجليز سيبقون مكتوفي الأيدي، ولذلك نجدهم ملاصقين للأميركان في خططهم

وعدوانهم حتى يكونوا على قرب من المخطط الأميركي ولكي يتسنّى لهم إعاقة أية محاولة لا يرغبون بها.

أن عملية إسقاط صدام تعني الإنجليز بقدر ما تعني أميركا التي اعتبرت شخص صدام مبرراً لها لتحقيق أهدافها حيال العراق، ولذلك فإن هنالك معلومات أن الإنجليز يخططون لاستقدام الأمير الحسن - الذي لا يقل صدقاً وإخلاصاً لأسياده الإنجليز عن أخيه الحسين - إلى الحكم في العراق ليحل محل صدام - برضى من الكويت وربما السعودية من أجل إبقاء العراق موحداً، ولضمان توازن القوى في منطقة الخليج الاستراتيجية.

ويمكن تلخيص الوضع المتعلق بالعراق في نقطتين:

أ - ستستمر أميركا بقصف العراق إلى أن تصل إلى مبتغاها.

ب - بسبب السياسات الأميركية هذه فإن أمام تركيا أياماً عصيبة.

٢ - التطورات على الساحة الداخلية:

كل المؤشرات تدل على أن قرارات ٢٨/شباط ١٩٩٧ - التي اتخذها مجلس الأمن القومي التركي ما زالت المؤشر الوحيد والموجِّه للسياسة الداخلية، وبعد كسبه ثقة البرلمان على تشكيله للحكومة الجديدة برئاسته صرح بُلنتْ أجويد ما مفاده أن فترة ما يسمى ٢٨ شباط قد انتهت!! تُرى ما الذي تغيَّر حتى يصرح أجويد بهذا التصريح؟ ولإدراك ذلك علينا أن ندرك الأسباب التي دفعت إلى اتخاذ قرارات ما يسمى ٢٨ شباط ١٩٩٧. قد يبدو للمرء منذ الوهلة الأولى أن الأسباب الدافعة هي ما يجري من أحداث وتطورات على الساحة الداخلية ولكن هذا غير صحيح، فالسبب الوحيد في ظهور قرارات ٢٨ شباط عام ١٩٩٧ هو العلاقات التركية - الأميركية. وربما قصد أجويد توجيه نداء حارٍ لأميركا التي لم يكن يتمتع بعلاقات طيبة معها منذ الأزمة القبرصية في عام ١٩٧٤.

وربما لهذا السبب ارتأت (القوة الحاكمة والدولة المتجذرة) في تركيا - وهو الجيش المتمثل بحفنة من الضباط المتحكمين ذوي الأصل اليهودي - أن يتولى أجويد رئاسة الوزارة. وكما ذكرنا آنفاً فإنه لتحاشي الضغوط الأميركية ومضاعفاتها عَمَدتْ السلطة إلى إسقاط الحكومة السابقة ثم تعمَّد ديميريل تكليف أجويد لتشكيل الحكومة الجديدة - كسباً للوقت - فما كان من أجويد إلاّ أن ماطَل واستغل الوقت المقرر له لتشكيل الحكومة وهي ٤٥ يوماً وقدم مقترحات تعجيزية لكافة زعماء الأحزاب السياسية، رفضها كل من حزب الفضيلة - الرفاه سابقاً - وحزب الطريق الصحيح وحزب الشعب الجمهوري، وبعد فشل أجويد في تشكيل الحكومة كلَّف ديميريل (يالم أَرَزْ) الذي صرح عدة مرات بأنه واثق من تشكيله للحكومة، وسينتهي هذا الأمر بسرعة مذهلة، وقال بأنه قد قطع شوطاً مهماً بهذا الخصوص، وربما يكون قد اتبع سياسة التمويه لأنه حصل العكس تماماً. ولو نجح اَرَزْ في تشكيل الحكومة فإنه كان سيتم القضاء على حزب الطريق الصحيح وتصفيته من جهة، وإشغاله هو - كخصم لأميركا - منصب رئاسة الوزراء من جهة أخرى. وسرعان ما أدركت تانسو تشيللر ما يُحاك ضدها وضد حزبها

فصرحت في اللحظة الأخيرة وبشكل فاجأ الجميع أنها على استعداد لدعم حكومة أقلية بزعامة بلنت أجويد - الذي كان قد اقترح ذلك عليها سابقاً - الأمر الذي أفسد على (بالم أَرَزْ) لُعبته. وتوضح تشيللر أسباب ذلك قائلة: (لقد قمتُ بكشف مؤامرة على الديمقراطية) وتقول أيضاً: (عارضنا تشكيل حكومة كحكومات سعدي أرماق ونعيم تالو في الوقت الذي تظهر فيه إشاعات لتأجيل الانتخابات.).

ولذلك من الخطأ بمكان أن يتم تحليل السياسة الداخلية في تركيا بعيداً عن السياسة الخارجية. في الوقت الحاضر فإن السياسة الداخلية التركية مرتبطة كلياً بانتخابات البلديات والانتخابات التشريعية اللتين ستجريان في وقت واحد بتاريخ ١٩٩٩/٤/١٨، وفي الوقت الذي دخلت فيه الأحزاب السياسية الحملة الانتخابية الإعلامية، تساور البعض شكوك في إجراء الانتخابات. فكلٌّ من حزب الفضيلة - وهو امتداد لحزب الرفاه - وحزب الطريق الصحيح ما زالا على قيد الحياة، وبالرغم من كل المحاولات الهادفة لإضعاف تشيللر وحزبها عجزت السلطة عن تصفيتهما. أما عن حزب الفضيلة فإن تصفيته وحلَّه ليس بالأمر الصعب. ولهدف التصفية أوعزت السلطة لديميريل لكي يجري الانتخابات على مرحلتين منفصلتين. وللهدف نفسه ظهرت ادعاءات مفادها أنه توجد أصوات متكررة لعدة مرات لنفس المنتخِب. والظاهر أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ويبدو أن الدولة المتجذرة في تركيا - السلطة - لم يعد بيدها ما يمكن أن تلعب به من أوراق دستورية. والتصريحات المتكررة لديميريل حول هذا الموضوع تدعم هذا الرأي حيث يقول: (عليكم أن تفكروا مَلِياً بنتائج يوم ١٩٩٩/٤/١٩ وعندها ستجدونني محقاً). وربما هذا هو السبب المعقول الذي يفسر زيارة ديميريل للجزائر وبعبارة أخرى فإن لسان حال السلطة في تركيا يقول إذا تم التصويت لصالح الأحزاب السياسية المعارضة للعلمانية فإن عاقبة الوضع في تركيا لن يكون مختلفاً عن الجزائر، وعلى ضوء تصريحات ديميريل هذه فإننا قد نشهد أحداثاً ساخنة على الساحة الداخلية منها:

أ - إيجاد بديل تُلغى بموجبه انتخابات ١٩٩٩/٤/١٨، وهو ما يعمل له حزب الرفاه، والمتضررون من الأحزاب الأخرى.

ب - إلغاء الانتخابات في حال غياب البديل أو بحجة وجود عدة أصوات متكررة للمنتَخِب نفسه.

ج - القيام بعملية انقلاب عسكرية بحجة إنقاذ العلمانية من خطر الأصولية في حالة عدم قيام الحكومة الحالية بالتغييرات الموافقة لرغبة الجيش أو في حالة غياب أي خيار آخر.

أما عن أزمة عبد الله أوجلان فإنه من الخطأ أن تُفصَلَ عن أزمة العلاقات التركية الأميركية فإنه معلومٌ بداهة أن أميركا تلعب دائماً بهذه الورقة كما أن مسألة أين ستكون إقامة أوجلان مسألة تعني تركيا بشكل مباشر، ومن الراجح أن يقيم أوجلان في إحدى دول المنطقة في حالة عدم استجابة تركيا للمطالب الأميركية، والدليل على ذلك ما تناقلته الصحف من أنه قد يكون الآن موجوداً في قرباغ أو لبنان. ولذلك وبعد يوم من مغادرة أوجلان إيطاليا أي في ١٩٩٩/١/١٨ تم استقدام رئيس جمهورية أذربيجان حيدر علييف إلى إحدى المستشفيات

العسكرية في أنقرة بحجة المرض، وبعد مضي ١٢ يوماً أي في ١٩٩٩/١/٣٠ غادر المستشفى وقبل مغادرته المستشفى بيوم واحد التقى رئيس الوزراء يومها مسعود يلماز ثم بعدها التقى سليمان ديميريل حيث مكث معه ليلة بطولها في قصر الرئاسة، وفي اليوم التالي عاد إلى بلاده. وفي صبيحة يوم ١٩٩٩/٢/٢ تناقلت الصحف أخباراً تتحدث عن تنقل أوجلان بين أربع دول خلال يومين وأضافت الصحف أيضاً بان أزمة أوجلان تحولت إلى كرة منضدة. ولم تستبعد كل من إسرائيل وتركيا أن يعود أوجلان إلى سوريا مرة أخرى، وهناك احتمالات أن تكون كوسوفا والمناطق المجاورة لها بلد الإقامة لأوجلان وحزبه. وباختصار شديد يبدو أن أزمة أوجلان ستتعب تركيا كثيراً (هذا المقال كتب قبل اعتقال أوجلان من قبل أجهزة الأمن التركية).

وأما عن الأزمة الاقتصادية فإن تركيا بأمس الحاجة إلى عشرين مليار دولار خلال الشهرين القادمين كي تُسدِّد بعض الديون الخارجية والداخلية. ومن الخطأ بمكان أن يعتبر المرء سبب الأزمة الاقتصادية الداخلية في تركيا هو الهزة التي عصفت بالاقتصاد العالمي برُمَّتِهِ، بل السبب في ذلك النظام الرأسمالي نفسه والذين يطبقونه، بالإضافة إلى الإشاعات المتعمَّدة التي يبثها أصحاب رؤوس الأموال عن سوء الأوضاع الاقتصادية. فقد صرح رحمي كوج قبل ستة أشهر قائلاً: في خلال السنتين القادمتين ستواجه تركيا أزمة اقتصادية حقيقية، وتصريحات مسعود يلماز عن الموضوع دليل واضح على أن المسؤول الوحيد عن الأزمة الاقتصادية هو النظام الرأسمالي نفسه ومن يقوم على تطبيقه. ولا يخفى على أحد أن اليهود يسيطرون على مقدرات البلاد الاقتصادية كما لاحظنا ذلك في أزمة ١٩٩٤.

وأما أزمة كوسوفا فبطبيعة المنطقة الجغرافية فإنها تعني أوروبا أكثر من غيرها، وكما هو الحال في بقية مناطق العالم التي تشهد أزمات داخلية وحروباً، فإن الدول الاستعمارية، وعلى رأسها أميركا وإنجلترا وفرنسا، هي وراء أزمة كوسوفا. أما عن التطورات الأخيرة فإنها تخص أزمة العراق أكثر من غيره فمن جهة تحاول أميركا إشعال فتيل الحرب في كوسوفا حتى تشغل أوروبا بها كي يتسنى لها الانفراد بالعراق. من ناحيتها فإن أوروبا تريد إلهاء أميركا بأزمة كوسوفا من خلال تحريض الصرب كي تتوقف أميركا عن عدوانها على العراق. والتصريح الذي أدلى به كلينتون في ١٩٩٩/٢/٤ يؤيد هذا الرأي حيث قال: (تُعتبر منطقة كوسوفا عنصر تهديد جدي لحلفائنا في الأطلسي وقد تشكل عنصر نزاع يُوقِع بين تركيا واليونان. تساورني مخاوف انفجار الوضع في البوسنة ـ الهرسك التي عملنا على تأسيس السلام فيها لمدة ثلاثة أعوام.) ❑

١٩٩٩/٢/٩

محمد عبد الله

أنقرة ـ تركيا

الصـراع على منطقة بحر قـزويـن

تحـدث الـرئيس الشيشـاني مسـخادوف فـي مهرجـان لأنصـاره فـي غروزنـي فـي ٩٩/٣/١٦، فقـال إن واشـنطن تريـد إيجـاد نظـام مشـابه لطالبـان فـي بـلاده مـن أجـل إرهـاب جيرانهـا، والسـيطرة علـى منطقـة بحـر قـزوين وثرواتهـا الطبيعيـة، ولمـح إلـى أن دولاً عربيـة تسـاعد فـي تمريـر المخطـط الأميركـي. فمـا هـي قصـة الصـراع علـى نفـط بحـر قـزوين؟ ومـا هـي قصـة الصـراع علـى مـد خـط أنابيب النفط والغاز إلى الأسواق العالمية؟ المقال التالي يكشف هذه الأسرار ويبـرز أهميـة هـذه المنطقـة اقتطادياً واسـتراتيجياً، ويُشـير إلـى الإمكانـات الواعـدة التـي تبشّـر بهـا، وهو مقتبس من مقال نشر في صحيفة واشنطن بوست بتاريخ ٩٨/١٠/٤.

الزيـارة الـتي قـام بهـا الـرئيس الأذربيجـاني إلى واشـنطن في آب (أغسـطس) ١٩٩٧ كانـت بنـاء علـى نصـيحة مـن مـدير العمليـات الآسـيوية ـ الأوروبيـة في شـركة أموكـو الأميركيـة للـنفط، والـتي مقرّهـا شـيكاغو. والمعـروف أن أموكـو تـدفع بكثـرة للحـزب الـديمقراطي، وقبـل الزيـارة بحـوالي سـتة أشـهر دفعـت أموكـو لصـندوق الحـزب الـديمقراطي مبلـغ ٥٠ ألـف دولار. وشـهدت الزيـارة حفـل توقيـع اتفـاق للتنقيـب عـن الـنفط بـين أذربيجـان وأموكـو، ووعـداً مـن الـرئيس كلينتـون برفـع العقوبـات الاقتصـادية عـن أذربيجـان. إن الـروابط بـين أموكـو وأذربيجـان، ودور أموكـو في دفـع الولايـات المتحـدة إلى الاهتمـام بهـذه الدولـة المطلـة علـى بحـر قـزوين، تعكـس خـرائط معقـدة أعـدتها شـركات الـنفط، والقـوى الكـبرى، والحكومـات الإقليميـة الـتي تتصـارع علـى النفـوذ في هـذه المنطقـة الاسـتراتيجية الـتي تفصـل روسـيا عـن الشـرق الأوسـط. واللاعبـون الأساسـيون ليسـوا فقـط شـركات الـنفط مثـل: أموكـو، موبيـل، وشـيفرون، ولكـن أيضـاً مسـؤولون حكوميـون كبـار مـن واشـنطن إلى موسـكو إلى بكـين إلى طهـران، لأن الغنيمـة ضـخمة ماليـاً واسـتراتيجياً. والحكومـة الأذربيجانيـة مثـل جارتيهـا تركمانسـتان وكازاخسـتان سـعت مـن أجـل إغـراء شـركات الـنفط الأميركيـة ومـن ثـمَّ الحكومـة الأميركيـة مـن أجـل تـدعيم اسـتقلالها المـالي والسياسـي. وسـتكون الجـائزة النهائيـة احتيـاطي نفـط وغـاز أضـخم بكـثير مـن كـل الـنفط المكتشـف خـلال العقـود الثلاثـة الأخـيرة سـواء في بحـر الشـمال أو ألاسـكا. ويقـدّر الخـبراء الأميركيـون أن المنطقـة قـد تنـتج علـى الأقـل ثلاثـة ملايـين برميـل نفـط يومياً بحلـول عـام ٢٠١٠ ثمنهـا ١٤ بليـون دولار سـنوياً بحسـب الأسـعار الحاليـة؛ وهـذا الـرقم أقـل بكـثير مـن الإنتـاج السـعودي، ولكنـه أكثـر مـن إنتـاج الكويـت (بـرغم أن قلـة مـن المحللـين يعتقـدون أن احتيـاطي نفـط بحـر قـزوين قـد جـرى تضـخيمه). أمـا احتيـاط الغـاز فهـو في المرتبـة الثالثـة بعـد الشـرق الأوسـط وروسـيا، بحسـب تقريـر لـوزارة الخارجية الأميركية.

إن توجـه الشـركات الأميركيـة لاسـتغلال هـذه المـوارد، أدى إلى إعـادة اصـطفاف سياسـية ذات أبعـاد تاريخيـة، تتضـمن وجـوداً أميركيـاً غـير مسـبوق في منطقـة كانـت بشـكل دائمـي تحـت السـيطرة الروسـية منـذ منتصـف

القرن التاسع عشر، ولكن مصالح أميركا في المنطقة تعرّض أميركا لمخاطر ومآزق سياسية، ففي المقام الأول هناك العلاقة مع موسكو، فروسيا القيصرية والاتحاد السوفييتي نظرا إلى موارد بحر قزوين باعتبارها حقاً موروثاً، والآن تتهم روسيا الولايات المتحدة بأنها تناور من أجل تحديد سيطرة موسكو، وإنشاء منطقة نفوذ أميركية في المنطقة.

كما أن نفط بحر قزوين مهم لإدارة كلينتون بالنسبة للعلاقات مع طهران؛ فبعض شركات النفط الأميركية ترى أن إيران هي المعبر الأرخص والأسرع لنقل نفط بحر قزوين، وهذا على النقيض من تصورات شركات أخرى، التي تشجع استمرار جهود الحكومة الأميركية لعزل الجمهورية الإسلامية. إن التدخل الأميركي هو ما طلبه قادة الدول الحديثة الاستقلال: أذربيجان، كازاخستان وتركمانستان حين أغروا الشركات التي ترفع علم الدولة الأعظم الوحيدة في بداية هذا العقد. وقد صرّح مسؤول نفطي أميركي، طلب عدم ذكر اسمه: «اعتبروا أن علاقة قوية مع الولايات المتحدة توفر فرصة للاستقرار ولعدم التسلط الكلي من قبل القوى المجاورة: روسيا وإيران. وبما أن حكومة أميركا كانت بطيئة في إدراك أهمية المنطقة، فإنهم صاغوا علاقات مع رجال أعمال أميركان» وقد قال إلهام علييف، نائب رئيس شركة النفط الأذربيجانية الحكومية، ونجل رئيس البلاد: «استخدمنا النفط من أجل هدفنا الأسمى، وهو أن نصبح دولة حقيقية.» وقد استثمرت شركات النفط الأميركية أكثر من بليوني دولار في الجمهوريات السوفييتية السابقة الثلاث، والتي تملك أكثر نفط وغاز بحر قزوين، ما أحيا اقتصادياتها المنهارة وأنهى اعتمادها الاقتصادي على روسيا والمستمر منذ قرن. وكذلك تحققت لها أيضاً مكاسب سياسية واستراتيجية. فشركات النفط الأميركية أصبحت مدافعة عن حكومات بحر قزوين في واشنطن، وتجذب الانتباه إلى ثروة بحر قزوين، وتدعم قضاياها السياسية، وبذلك أصبح بحر قزوين على جدول أعمال المناقشات السياسية في واشنطن، فعلى سبيل المثال ضغط ممثلو شركات النفط في أذربيجان على المسؤولين، وفي كل مناسبة، من أجل إنهاء النزاع الإقليمي الدموي بين أذربيجان وأرمينيا؛ وفي عام ١٩٩٧ نجحوا في الضغط على الكونغرس من أجل تخفيف قيود العقوبات الاقتصادية المفروضة على أذربيجان منذ ١٩٩٢ بسبب حربها مع أرمينيا. أما شركة شيفرون، التي تملك أكثر استثمارات نفطية في كازاخستان، فقد كافحت في واشنطن وموسكو من أجل خطة كازاخية لتحويل صادرات النفط من السوق الروسي إلى السوق الغربي حيث العملة الصعبة الهامة جداً لاستقلال كازاخستان الاقتصادي؛ في حين نشرت شركة موبيل إعلانات في الصحف الأميركية تبرز إنجازات حكومة تركمانستان التي يقودها شيوعي سابق.

هذه العلاقات تربط أميركا بمنطقة تضطرب بالنزاعات الإثنية، والحركات الانفصالية المسلحة، وتحكم بنظام حكم أوتوقراطي فاسد، وهي تخاطر في زج نفسها في «دائرة من عدم الاستقرار والأزمات» كما يقول اختصاصي روسي في مؤسسة كارينجيا للسلام العالمي. ويُتوقع أن تزداد روابط أميركا مع منطقة بحر قزوين، لأن شركات الطاقة الأميركية تملك بدائل جذابة قليلة، والسياسة الأميركية تحظر الاستثمار في إيران والعراق، والمشاريع في أماكن أخرى تبدو باهتة بالمقارنة مع بحر قزوين. وكما يقول أحد رجال النفط الأميركان: الحقيقة الصارخة هي «أنه لا توجد قزوينات كثيرة» أما كيف أصبحت أميركا لاعباً في منطقة على هذه المسافة من أرضها فهي قصة الجغرافيا السياسية بعد الحرب الباردة، والمغامرين القدامى، وضعف موسكو وقوة واشنطن، قصة

النفط والمال والقوة، والتي لم تكتب نهايتها بعد.

حين قابل رئيس شركة أموكو الرئيس كلينتون في ٦ آب (أغسطس) عام ١٩٩٦، كانت شركته أشهر مؤسسة أميركية في أذربيجان، فمن مقرها في باكو، قامت الشركة بحملة تلقيح للأطفال، وأعانت الموسيقيين الأذريين، وموّلت عمليات تبادل الطلاب. ومن أجل إدخال شركة أميركية، كان لا بد من إخراج شركات أخرى من هناك. كانت الشركات البريطانية، على وجه الخصوص، وبرغم كونها ممثّلة من خلال ثالوث أميركي، أول من دخل أذربيجان. في عام ١٩٩٠، كانت باكو ما تزال عاصمة مقاطعة سوفييتية، وقليل من رجال النفط الأميركان ثَمَّنوا مواردها الكامنة، فصناعة النفط في أذربيجان مرت في ظروف صعبة منذ القرن التاسع عشر، حين حَوَّل آل روتشيلد، وإخوة الفرد نوبل، مخترع الديناميت، باكو إلى مركز نفطي عالمي قادر على تحدي شركة ستاندارد للزيت التي يملكها جون روكفلر، في السيطرة على سوق الكيروسين في أوروبا. ومع حلول عام ١٩٩٠، ترك الاستغلال السوفييتي غير المحدود في المنطقة حفّارات قديمة في مناطق قاحلة، وبرك سوداء من النفط، وكان الإنتاج الأذربيجاني يتناقص، لكن الجيولوجيين السوفييت قد استشرفوا المستقبل في اكتشاف ٤,٧ بليون برميل من النفط الممتاز على عمق مئات الأقدام من ماء بحر قزوين. وبعيداً عن إمكانات أدوات الحفر السوفييتية، في حوض اسمه أبشِرون. وأول من اكتشف إمكانيات هذا الحوض شخص اسمه رمب، من أصل أميركي كان يدير شركة خدمات نفطية صغيرة اسمها رامكو في أبردين باسكوتلندا منذ عام ١٩٧٧، وكان يطمح إلى العمل في التنقيب والإنتاج، ولهذا بدأ السفر إلى باكو في ١٩٨٩ ولم تكن باكو مكاناً مناسباً لضعاف القلوب، فالتوترات بين أذربيجان وجارتها أرمينيا كانت في تصاعد، وفي كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٩٠ أرسل الرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشوف قواته إلى باكو لقمع انتفاضة وطنية حيث قتل حوالي ٢٠٠ متظاهر في العاصمة، والدبابات ظلت في الشوارع لأشهر بينما لبس الأذريون السواد إحياءً لذكرى القتلى، وقد استغل رمب الأحداث من أجل الاتصالات وتجميع المعلومات، ثم فيما بعد استأجرته شركة نفط أذربيجان الحكومية للتعرف على الشركات الغربية التي تستطيع تطوير الحقل الرئيس بعيداً عن الشاطئ الذي سمي «الحقل الأذري»، فاتصل بشركة «بريتيش بتروليوم» التي كانت حصلت على تقارير خاصة بها عن «كويت قزوينية»، وكانت أرسلت اثنين من مواليد أميركا للتأكد، وقد اعتقدا أن «بريتيش بتروليوم» ستعقد صفقة خاصة بها في أذربيجان، ثم فكّرا في استبعاد رمب مع المجازفة باحتمال انضمامه إلى شركات منافسة؛

وفي تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠، حصل كونسورتيوم مؤلف من شركة «بريتيش بتروليوم»، وشركة رامكو، وشركة النفط النرويجية الحكومية على وعد غير رسمي لتطوير «الحقل الأذري» بمفردها، وفي الشهر نفسه وصل إلى باكو أستاذ علوم سياسية في جامعة جورجتاون، عمره ٣٠ سنة، اسمه روب سُبحاني، الذي كانت وعائلته الأذرية هاجرت إلى أميركا من شمال إيران في عام ١٩٧٩، ولكونه يعرف اللغة الأذرية، فقد كان شيئاً هاماً في باكو، ولهذا استدعي إلى مكتب زعيم الحزب الشيوعي مطاليبوف، الذي حدّثه عن خططه لإنشاء ديموقراطية على النمط الأميركي في أذربيجان، ثم عهد بالصفقة النفطية إلى شركة «بريتيش بتروليوم». ولكن سُبحاني قام بواجبه الوطني كأميركي، فأخبر زعيم الحزب الشيوعي «أن هناك أميركا واحدة، وأن هناك قوة أعظم واحدة، وأنه يجب عليك العمل معها»، وقد أبرز مساوئ الشركة الأم لشركة بريتيش بتروليوم وهي

الشركة الإنكلو ـ إيرانية، وتذكر فضائل الشركات الأميركية، وفكّر في شركة أموكو.

وقد لاقت هذه الفكرة صدى عند مطاليبوف، وفي اليوم نفسه كان رمب في مكتب رئيس شركة النفط والغاز الحكومية حين اتصل مطاليبوف بلهجة آمرة: ألغوا الصفقة مع «بريتيش بتروليوم»، وأعطوا الأميركان حصة في الحقل الأذري، وبذلك أصبح الملعب ممهداً للشركات الأميركية، ولكن النجاح لم يكن مضموناً. وفي نيسان (إبريل) ١٩٩١، قدّم وفد أموكو عرض شركته لتطوير الحقل الأذري، وبعد شهرين، استدعى الأذريون شركة أموكو وشريكتها «ماكدرموت الدولية» من أجل مناقشة بنود الاتفاق.

أعلن استقلال أذربيجان في ٣٠ آب (أغسطس) عام ١٩٩١، وخلال السنوات الثلاث التي تلت الاستقلال جرى إذلال الدولة الجديدة في حرب دموية مع أرمينيا، ما أدى إلى مئات الآلاف من المهاجرين، وإلى سيطرة أرمينيا على إقليم ناكورو قره باخ، وهي منطقة أذرية جبلية مساحتها بقدر مساحة جزيرة رودس. وقد أدت الحرب إلى تصارع المجموعات السياسية والمليشيات المحلية على السلطة، وقبل وقف إطلاق النار في آذار (مارس) ١٩٩٤ تعاقبت على السلطة في باكو أربع حكومات. وفي هذه الأثناء لم تهدأ حركة رجال النفط، ودخلت على الخط شركات أميركية عملاقة مثل شركة أونوكال، التي سعت إلى إشراك سعودي معها من أجل تحسين علاقات أذربيجان مع البلدان الإسلامية.

في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، وصلت رئيسة وزراء بريطانيا السابقة، مرغريت تاتشر، إلى باكو وقدّمت لحكومة أذربيجان شيكين بمبلغ ٣٠ مليون دولار في محاولة لجعل شركة «بريتيش بتروليوم» في القمة. وقد ضغط المسؤولون البريطانيون من أجل مصلحة الشركة، حتى إن البعثة الديبلوماسية البريطانية في باكو كانت تمارس عملها من مكاتب الشركة، وكانت حكومة أذربيجان تعتبر الاتفاق مع الشركات البريطانية اتفاقاً مع الحكومة البريطانية. أما بالنسبة للشركات الأميركية، فلم تكن حكومة أذربيجان تعرف كيف تتصرف معها، لأن الحكومة الأميركية كانت تجهل أو ربما تعادي انغماس الشركات في أذربيجان، فعلى سبيل المثال، في خريف ١٩٩٢، فإن الكونغرس، الذي تضغط عليه جماعات الضغط الأميركية ـ الأرمنية، حظر معظم المساعدة الأميركية المباشرة إلى أذربيجان، بينما سمح بمساعدات سخية إلى أرمينيا. وقد بذل مدير عمليات شركة أموكو في أذربيجان، جهوداً متواصلة مع مسؤولي الإدارة الأميركية، وأعضاء الكونغرس، لتعريفهم بأهمية منطقة آسيا الوسطى، ومواردها الكامنة، وموقعها الجغرافي السياسي، وكان يحمل معه خارطة للمنطقة أثناء اتصالاته.

استلم حيدر علييف السلطة في انقلاب عسكري أطاح بالرئيس المنتخب، ويعتقد بعض الأذريين، ورجال النفط الغربيين، أن موسكو دبّرت الانقلاب في محاولة لمنع صفقة نفط ضخمة بين باكو وشركات غربية.

وقد كان حيدر علييف مسؤولاً في جهاز الاستخبارات السوفييتية أيام بريجينيف، ولكنه تحوّل إلى القائد الذي كانت تنتظره شركات النفط الأميركية لأنه يتمتع بالذكاء ويفهم السياسة البترولية. إذ بعد فترة اضطراب قصيرة عيّن فيها الأذريون شخصاً سلوفاكياً لإدارة مفاوضات النفط، تدخّل علييف بنفسه، فأصدر تعليماته إلى مرؤوسيه لمتابعة صفقة في مركز شركة أموكو في هيوستن، قلب صناعة النفط الأميركية. وفي ٢٠

أيلول (سبتمبر) ١٩٩٤، اجتمع علييف ومسؤولي النفط من أجل حفلة توقيع ما أسماه علييف «صفقة القرن»، وقد وافق كونسورتيوم شركات النفط على إنفاق ٧,٤ بليون دولار لتطوير الحقول الثلاثة الأساسية، بهدف إنتاج ما بين ٨٠٠,٠٠٠ إلى مليون برميل يومياً بحلول عام ٢٠١٠؛ وأخذت أربع شركات أميركية أكثر من ٤٠٪، بينما شركة أكسون ستنضم إلى الكونسورتيوم في العام القادم (١٩٩٥)، وأعطيت نسبة ١٧٪ لشركة بريتيش بتروليوم، والبقية توزعت على شركة نفط أذربيجان وشركات أجنبية صغيرة. وقد كوفئ رمب، باعتباره أول رجل نفط أجنبي يصل باكو، فحصلت شركته، شركة رامكو، على ٢٪، وما بين ٨ آلاف ـ ١٢ ألف برميل يومياً بالمجان، ومهمة تنظيف أنابيب النفط عند إنشائها بمبلغ ٣٠ مليون دولار سنوياً ما دام الكونسورتيوم يعمل.

وقد عارضت روسيا أي وجود أميركي في منطقة بحر قزوين، وقد اتصل وزير الطاقة الروسي بنائب وزير الطاقة الأميركي قبل زيارته الأولى إلى المنطقة في ١٩٩٤ محذّراً «هذه احتياطيات روسية، ويجب تطويرها من قبل الروس»، وقد كان لروسيا حصة متواضعة في صفقة القرن فقط ١٠٪ لشركة روسية خاصة ولكن روسيا كانت تتحكم في الجغرافيا. فنفط بحر قزوين لا يمكنه أن يصل إلى الأسواق العالمية إلاّ عبر دول مجاورة غير مستقرة سياسياً، أو منافسة تجارية في مجال النفط مثل إيران وروسيا. وفي حالة أذربيجان، لم يبق من خط أنابيب القرن التاسع عشر، الذي يمتلكه إخوة نوبل، والممتد من باكو إلى البحر الأسود، إلاّ خط من الصدأ، وما يصل أذربيجان بأسواق النفط العالمية هو مراكب قليلة صدئة تنقله عبر نهر الفولغا، وخط أنابيب وحيد يمتد من روسيا إلى أذربيجان عبر الشيشان التي تمزقها الحرب.

وقد واجه المصدّرون لغز من يملك بحر قزوين وموارده؟ ففي بداية هذا القرن وقعت إيران والاتحاد السوفييتي معاهدات اعتبرتا فيها البحر بحيرة مشتركة بينهما، الآن الاتحاد السوفييتي لم يعد موجوداً، ولكن موسكو لا تزال تتشبث بحقوقها بموجب المعاهدة. ولهذا فقد ترك هذا الوضع شركات الكونسورتيوم معتمدة بشكل غير اعتيادي على الديبلوماسية الدولية من أجل التفاوض بشأن طرق أنابيب النفط.

وفي بداية ١٩٩٥، أنشأت شركات النفط الأميركية العاملة في أذربيجان، مجموعة شركات النفط الأجنبية في واشنطن، وقد التقت مع خبير الطاقة في مجلس الأمن القومي الأميركي، شيلا هسلن، ثم مع لجنة وسيطة يرأسها صموئيل بيرجر (مستشار الأمن القومي الحالي). وتفيد الوثائق الحكومية أن مجلس الأمن القومي وشركات النفط عملا سوياً في حزيران (يونيو) ١٩٩٥، من أجل إحباط محاولة روجيه تمرز، الأميركي ـ اللبناني، لمد خط أنابيب خاص به من باكو إلى تركيا عبر أرمينيا. وقد تم تأجيل اتخاذ قرار حول خط أنابيب تصدير النفط.

إن بالإمكان تحويل خط أنابيب النفط الروسي بثمن زهيد، ليسمح بضخ نفط أذربيجان، لكنّ ذلك يسمح لروسيا بإملاء شروط تجارية بشأن نقل النفط عبر الناقلات، كما أن خط الأنابيب يصل إلى ميناء نوفوروسيسك على البحر الأسود، وهو يغلق عدة أشهر في السنة بسبب الثلوج. ولهذا تريد إدارة كلينتون، وشركات النفط خيارات أخرى. ومنذ أخذت شركة شيفرون حقل تنجيز في كازاخستان في ١٩٩٠، وضعت روسيا عراقيل لمنع مد خط أنابيب من تنجيز عبر أراضيها. ولهذا يخشى رجال النفط الأميركيون أن يصير حالهم مع روسيا مثل شركة شيفرون.

في صيف ١٩٩٥، اجتمع صموئيل بيرجر مرتين مع شركات الكونسورتيوم، وحاول إقناع رئيس

الكونسورتيوم، وهو مسؤول في «بريتيش بتروليوم» بالحاجة إلى خط أنابيب جديد بكلفة ٢٥٠مليون دولار من باكو إلى الميناء الجورجي، سوبسا، على البحر الأسود بعيداً عن السيطرة الروسية، ولكن «بريتيش بتروليوم» فضّلت الحل الأرخص، وهو إنفاق ٥٠مليون دولار لإصلاح خط الأنابيب المار عبر روسيا. وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥، وافق الكونسورتيوم على استخدام كلا الخطين، وظهرت سياسة جديدة في إدارة كلينتون «خطوط أنابيب متعددة» لنفط بحر قزوين.

وأخيراً، بقي إقناع علييف، الذي يجب أن تفاوض حكومته الدول المجاورة بشأن خط الأنابيب، ولكن مع وجود الضغط الروسي، فإن الدعم بعيد عن التحقيق. وقد طلب أنطوني ليك، مستشار شؤون الأمن القومي السابق، بصورة خاصة من سلفه بريجنسكي، مستشار الأمن القومي في إدارة كارتر، أن يحمل رسالة من كلينتون إلى علييف، وتتضمن الرسالة تفضيل أميركا لخطي الأنابيب، وتعرض مساعدة واشنطن لحل النزاع مع أرمينيا. وقد يصبح بريجنسكي مستشاراً لشركة أموكو بأجرة، ولكنه حين طار إلى باكو في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥، أكد أنه كان مدفوعاً بقلقه على نوايا روسيا في القفقاس. وقد سلّم بريجنسكي الرسالة إلى علييف، ولخّص محتوياتها. ولعدة أيام، جرت محادثات بينهما لساعات طويلة، فهم بريجنسكي من خلالها أن الروس يطلبون أن يمر كل نفط أذربيجان عبر أراضيهم، وأن توجد قوات روسية في أذربيجان، وفي ٢ تشرين الأول (أكتوبر) طلب كلينتون من علييف أن يضغط من أجل فكرة مد خطي أنابيب، وبعد أسبوع أعطى علييف موافقته، واقتنع الروس أخيراً أن السيطرة على أحد الخطين أفضل من استبعادهم نهائياً، ولكن الاحتكاكات الروسية الأميركية ستستمر.

فيما يلي جدول عن إنتاج واحتياطي النفط والغاز والمداخيل للدول الثلاث: أذربيجان، كازاخستان، وتركمانستان، والذي يبرز التصارع على النفوذ في منطقة بحر قزوين.

الدولة	إنتاج النفط (١٩٩٥) (آلاف البراميل يومياً)	احتياطي النفط (١٩٩٧) بلايين البراميل	احتياطي الغاز (١٩٩٧) تريليون متر مكعب	الناتج القومي (١٩٩٦) بلايين الدولارات
أذربيجان	١٨٥	٣١	١,٣	٣,٧
كازاخستان	٤٤٠	٩٥	٤	١٥,٩٣
تركمانستان	٨٠	٣٣,٥	٨,٩	٣,٧٨

لا تَنْسَ

أَهَـــدِيلُ وَرْقَـــاءٍ أَمِ الأَوْتَـــارُ ... يُنْسِـيكَ مَـا ضَـجَّتْ بِـهِ الأَخْبَـارُ
أَتَـرَى رُبَـى الإِسْـلامِ كَيْـفَ تَمَزَّقَـتْ ... وَيَظَـلُّ يَسْـحَرُ سَـمعَكَ الأَطْيَـارُ
مِـنْ أَيْـنَ تَأْتِيـكَ البَشَاشَـةُ، وَالأَسَـى ... حَـوْلَ القُلُـوبِ كَأَنَّـهُ أَسْـوَارُ
وَأَرَاكَ تَرْسُـفُ فِـي قُيُـودِكَ ضَـاحِكاً ... وَأَرَاكَ تَرْشُـفُ .. وَالشَـرَابُ عُقَـارُ
لِتَغِيـبَ أَشْـبَاحُ الـذِينَ تَقَطَّعَـتْ ... أَوْصَـالُهُمْ وَأَتَـتْ عَلَيْهَـا النَـارُ

❁❁❁

أَإِذَا نَسِـيتَ جِـرَاحَ أُمَّتِـكَ انْتَهَـتْ ... آلاَمُهَـا، وَأُمِـيطَ عَنْهَـا العَـارُ؟
طَـالَ احْتِمَالُـكَ لِلْهَـوَانِ وَلِـلأَذَى ... فَاصْـرُخْ أَوِ اهْمِـسْ: إِنَّنَـا أَحْـرَارُ
وَإِذَا عَجَـزْتَ عَـنِ الكَـلاَمِ فَـلاَ تُمِـتْ ... تَـوْقَ الحيَـاةِ مَـعَ الأُلَـى قَـدْ غَـارُوا
حَطِّـمْ جِـدَارَ السِـجْنِ حَوْلَـكَ مَـرَّةً ... أَوْ حَـوْلَ قَلْبِـكَ .. وَلْـيَكُنْ إِعْصَـارُ
لا تَـنْـسَ مَـنْ قَتَلُـوكَ دُونَ هَـوَادَةٍ ... أَمْ أَنَّ مَـا قَـامُوا بِـهِ أَسْـرَارُ؟
أَرْجِـعْ لِقَلْبِـكَ مَجْـدَ أُمَّتِـكَ الـتِي ... كَانَـتْ لَهَـا الآفَـاقُ وَالأَمْصَـارُ

❁❁❁

أَنَسِـيتَ عَهْـدَ النَصْـرِ عِنْـدَ رُقَـادِهِ ... فَتَـرَى الزَمَـانَ عَفَـا خُطَـى مَـنْ سَـارُوا
أَنْكَـرْتَ نَفْسَـكَ وَانْتَزَعْـتَ جُـذُورَهَا ... وَتُرِيـدُ أَنْ تُـؤْتَى لَـدَيْكَ ثِمَـارُ
لاَ .. لاَ تَقُـلْ أَنَـا كَالـذِينَ تَخَبَّطُـوا ... فِي ظُلْمَـةٍ هِـيَ عِنْـدَهُمْ أَنْـوَارُ
لاَ .. لَسْـتَ مِـنْهُمْ، فِي فُـؤَادِكَ بُـرْعُمٌ ... قَـدْ تَسْـتَفِيقُ بِـهِ غَـداً أَزْهَـارُ
فَـأَقِمْ بِقُـرْبِ المَـاءِ وَارْتَقِـبِ النَـدَى ... وَشُـعَاعَ شَـمْسٍ مَـا لَهَـا أَسْـتَارُ
أُهْجُـرْ كُـؤُوسَ الـذُلِّ وَاتْـرُكْ سِـحْرَهُ ... وَاهْـزَأْ بِقَـوْلِ النَـاسِ فَهْـوَ غُبَـارُ
كُـنْ كَالغَرِيـبِ .. فَأَنْـتَ حُـرٌّ مُسْـلِمٌ ... غُـرَبَـاءُ فِي الدُنْيَـا هُـمُ الأَحْـرَارُ

الشاعر / أيمن القادري
٨٩/١١/٩

كلمة أخيرة

احتجاجات في المناسبات

رافق الضربة الأميركية للعراق التي وقعت قبل حلول شهر رمضان المبارك، موجة من المظاهرات والاحتجاجات تشبه البركان الذي ينفجر فجأة، بالرغم من أن بعضها كان مُسيّراً ومُسيّساً، إلا أنها ذات فائدة كبيرة، ولها دلالات معبرة عن مدى الاحتقان الذي يعتمل في صدور أبناء الأمة الإسلامية تجاه الصلف الأميركي، وتعبّر عن مدى توق الأمة للانعتاق من التبعية المزمنة التي تعيشها البلاد الإسلامية منذ عشرات السنين، وهذا هو الجانب الإيجابي الذي ينبغي الاعتراف به.

أما الجانب السلبي الذي يجب تجنبه والابتعاد عنه فهو عدم الاكتفاء بمظاهرات المناسبات، وعدم الاكتفاء بالجانب التنفيسي للمشاعر المكبوتة والاكتفاء فقط بردّات الفعل حينما يكون الاعتداء كبيراً والضجيج الإعلامي قوياً وتهييج (الجماهير) في أوج شدته.

ونعيش هذه الأيام ضربات أميركية شبه يومية للعراق فيما يشبه حرب الاستنزاف ولكن «الجماهير العربية» التي حركوها والتي تحركت وحدها لم تحرك ساكناً، لماذا يا ترى؟ فهل تتجزأ الكرامة، وما يسمونه خطأ «السيادة»؟ أم نعتبرها منتهكة إذا كانت الضربة قوية جداً، وغير منتهكة إذا كانت ضربة متوسطة الحجم أو صغيرة الحجم. إن الانتهاك وحدة واحدة لا تتجزأ سواء كان بواسطة أطنان من المتفجرات أم بواسطة أسراب من الطائرات، أم بواسطة طائرة واحدة تخترق الأجواء لثوانٍ فقط ويجب أن تُشجب وتُرفض وتُستنكر وتُقاوم.

والأهم من ذلك كله القواعد الأميركية البحرية والبرية الموجودة في بلاد المسلمين ابتداء من دول النفط العربية وانتهاء بباقي دول العالم الإسلامي والتي تواجه بسكوت مطبق من الشعوب والأنظمة ووسائل الإعلام وكأنها قدر محتوم، أو أمر واقع لا بد منه، أليس في هذا الوجود انتهاك صارخ لما يسمونه «السيادة»؟ ولماذا هذا الصمت المريب تجاه استعمار جديد، واحتلال جديد، وتفريط «بالسيادة المزعومة» لا يعادله انتهاك، فماذا يختلف هذا عن القواعد البريطانية التي كانت تنتشر على بقاع شتى من العالم الإسلامي، والتي كانت هدفاً دائماً للاحتجاجات والانتقادات حتى تفكيكها؟!

لا شك أن الواجب الشرعي يتطلب اتخاذ موقف غير الصمت الذي يخيّم على الموقف الذي يسود الآن θ

كوهين يـُسوِّق السلاح الأميركي!

- جال وزير الدفاع الأميركي وليام كوهين على ثماني دول عربية (دول مجلس التعاون الخليجي والأردن ومصر) ثم ختم جولته بزيارة إسرائيل. وكان في هذه الجولة يسوق السلاح الأميركي بالقوة في تلك البلدان (باستثناء إسرائيل).

- يبدو أن أميركا تنظر إلى هذه المنطقة بأنها سوق عكاظ الأسلحة، فلم تقصد غيرها باحثة عن مشترين محتملين لسلاحها يبددون ثرواتهم على أطنان من الحديد الذي يبقى في المخازن فيضاف إلى رصيد الخردة السابق.

- لماذا اختارت أميركا هذه الدول من بين عشرات الدول المنتشرة في العالم لتفرض عليها فرضاً شراء السلاح الأميركي؟ وهل هذا العمل يدل على أن أميركا تستخف بها وتنظر إلى مسؤوليها على أنهم الوحيدون من بين حكام العالم الذين يقبلون الرضوخ للضغط، ويقبلون تبديد ثروات أمتهم دون حسيب أو رقيب، ويقبلون الاستسلام للضغوط حفاظاً على بقائهم في مراكز السلطة؟ يبدو أن الأمر كذلك.

- تصريحات وزير الدفاع الأميركي في جولته كانت استفزازية وغير مفاجئة لما هو متوقع منه، ففي حين تحدث عن ضرب العراق المتواصل والعمل لإسقاط نظامه في عبارات مثل «هذا وقت لا يسمح بتخفيف الضغط على العراق» والقول «يجب أن نصر على الإذعان الكامل، ويجب أن لا يمنح العراق فرصة لالتقاط الأنفاس إلى أن يذعن إذعاناً كاملاً» نراه بالمقابل في إسرائيل يتحدث عن أمن اليهود وأهمية الجولان لأمنهم قائلاً: «الجولان مهم جداً لأمن إسرائيل وأية تسوية مع سورية يجب أن تأخذ في الاعتبار أمن إسرائيل».

- تحدث الوزير بلهجة البائع للسلاح مفاخراً بنجاحه في جولته التسويقية قائلاً: «كل ما طلبناه ووفق عليه» هذا التصريح بلغة الجملة، أما بلغة المفرق فقد قال: «إن بلاده وافقت [بدل قوله ضغطت] على بيع البحرين صواريخ جو - جو متطورة من نوع (امرام) لتصبح ثاني دولة عربية بعد الإمارات تمتلك هذه الصواريخ».

- بقيت الإشارة إلى أن جولة الوزير التسويقية سبقت افتتاح معرض السلاح الرابع في الإمارات والمسمى (إيدكس ٩٩) ربما حتى يستبق قيام هذه الدول بتوقيع صفقات مع دول أخرى من خلال المعرض. وتقول أخبار المعرض بأن العقد المقبل سوف يشهد شراء سلاح بقيمة مائة بليون دولار، فهنيئاً لدول الغرب بهذه البقرة الحلوب، التي تُبقي مصانعهم في حالة عمل دائم، وتبقي مصارفهم في قمة النشاط والكسب!! ❑